تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية

د. الشاهد البوشيخي ص : 8

أهداف المنافقين ومجالاتها

د. مصطفى بنحمزة ص : 4

المحجة

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

11 شوال 1430 ـ 01 أكتوبر 2009

العدد : 325

﴿واتقوا الله، ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾

ذ. المفضل فلواتي ص : 2

ملامح عن منهاج طالب العلم

ذ. سعيد بوعصاب ص : 11

الدراسات العلمية تؤيد الحقائق الإسلامية

د. جعفر شيخ إدريس ص : 7

شؤون فلسطينية

خريطة الطريق إلى الجحيم

د. عبد السلام الهراس ص : 16

دور الأنظمة العربية في قيام (إسرائيل) وتوسعها

ذ. نبيل شبيب ص : 8

إسماعيل هنية ينال "إجازة السند المتصل" في تلاوة القرآن الكريم

ص : 15

انتخاب مدير اليونسكو : امتحان رسوب بامتياز

د. عبد الرحيم بلحاج ص : 2

أوباما وحكاية الشمس والريح

ذ. أحمد الأشهب ص : 15

ترانسبارانسي الدولية تكشف «عدم فعالية» مؤسسات الرقابة المالية بالمغرب

مدارسنا ومدارسهم !!

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 13

من يحمي ألسنة أطفالنا؟

ذة. أمينة المريني ص : 11

تقرير لجنة غولدستون وصمت الأنظمة العربية

﴿واتّقُوا الله، ويُعَلِّمكُم اللّه واللّه بِكُلِّ شيْءٍ عليم﴾

مـزَايـا الـتَّـقْـوى :

إن التـقـوى هي مـحْـورُ الصـلاح والإصْلاح، وهي أساسُ الفوْز والنجاح، في الدّنيا والآخرة، بل هي سرُّ الإحْسان في التفْكير والتّغْيير والتعبير، وسرُّ الإحسان في التدْبير والتّسْيير... فكيْف تُحصَى فوائدُها وهي بهذه المثابة؟!

ولهـذا نَشـيـر بعُـجَـالة إلى بعْض ثمارها فقط. منها :

1) أنّها سببُ الفوز بالنجاة من النّار يوم القيامة :

قال تعالى : ﴿**تلْكَ الجنّةُ التي نُورِثُ من عبَادنا من كانَ تقيّاً**﴾(مريم : 63)، وقال: ﴿**ثُمّ نُنَجِّي الذين اتّقَوْا ونذَرُ الظّالمين فيها جُثِيّاً**﴾(مريم : 72)، وقال : ﴿ويُنَجِّي الله الذين اتّقَوْا بمفَازَتهم لا يمسُّهم السُّوءُ ولَا هُمْ يحْزَنُون﴾الزمر : 58).

ولوْ لمْ تكُن للتقْوى إلا هذه الثمرةُ لكَفَاها شرفاً ومزيّةً ومنزلةً، لأن الفوْزَ في الآخرة هو الرِّبحُ الذي ما بعْدَهُ رِبْحٌ، بلْ هو الرِّبْحُ الذي يُضَحّى المُومنُ من أجْل الحصول عليْه بكُلِّ غالٍ ونفيس، واللّه عزّ وجل أرْشَد المُومنين ووصّاهُم بأن يجْعَلُوا هذا الرِّبح هو الهدفَ الكبير المرسومَ أمامَ أعْيُنهم وعقولهم وبصائرهم وكُلّ نشاطاتهم وتصرفاتهم، لأنهُ الهَدَفُ السّامي الذي لا أسْمَى منْه، والهدفُ الشريفُ الذي لا أشْرفُ منه. قال تعالى : ﴿**يا أيُّها الذين آمنُوا اتّقُوا الله ولْتَنْظُر نفْسٌ ما قدّمَتْ لغَدٍ واتّقُوا الله إنّ الله خَبيرٌ بما تعْمَلُون**﴾(الحشر : 18).

2) امْتِلاك كُلّ وسائِل التّسْخير للكَوْن :

قال تعالى : ﴿**ولوْ أن أهْلَ القُرَى آمَنُوا واتّقَوْا لفَتَحْنا عَليْهم بركَات من السّماء والارض**﴾(الأعراف : 95) وكيْف لا يكُونُ الفتْحُ شاملاً لجميع آليات الاهْتداء إلى اكْتشاف خيرات الأرض وخيرات السماء، وهو من عند اللّه تعالى؟! من عند الله الذي وعَد المُتّقين بأن يكون معَهم بالْهداية والتّوفيق والتأييد والتّيْسير ﴿**إنّ اللّه مع الذين اتّقَوْا والذين هُم مُحْسنُون**﴾(النحل : 128).

أوّلُ تجليّات المعية :

التّيْسير : ﴿**ومن يتّقِ اللّه يجعل له من أمْره يُسْرا**﴾(الطلاق : 4)، وقال تعالى : ﴿**فأمّا من أعْطَى واتّقَى وصدّق بالحُسْنى فسنُيَسّرُه لليُسْرَى**﴾(الليل : 7).

فالله عز وجل ضَمن للمتّقين حُسن تيسير كُلّ أمُورهم في كُلّ مناحي الحياة، أمُورهم الفرديّة ميسّرة، وأمورهم الأسريّة ميسرة، وأمورهُم الاجتماعية ميسّرة، وأمورهم السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والفكرية، والتخطيطيّة، والتنظيميّة، والإدارية والشوريّة، والحُكميّة، والطبيّة، والصّحيّة، والفلاحية، والتجارية.. كُلُّها مُيَسّرة، لأنها أمُورٌ تدْبيريّةٌ لكيفيّة التسْخير للكون المسخّر بفضل الله. وكيف لا تكون مُيسّرة وهي مرتبطةٌ بالله تعالى الذي يُدبِّر الأمْر كله، ومنه الابْتداء، وإليه المَصير؟! وكيف لا تكونُ ميسّرةً والعقْل المُفكّر المخطّطُ همُّه إرْضاءُ اللّطيف الخَبير؟! وإسْعادُ خلْقه بفتْح آفاق العَيْش الكريم أمامَهم، حتّى يهْتدُوا إلى ربِّهم في سلاسة ويُسْر؟! ويعْبُدوه بالشّكْر الخاشع ليزْدَادُوا خيراً على خيْر، وتمكيناً على تمْكين، وإسعاداً على إسعاد، وسكينةً على سكينة؟!؟!

3) تنْويرُ الطريق لتوْضيح الفرْق بين الحق والباطل :

فالكثيرُ الكثيرُ من النّاس تائهون يهيمُون على وجوههم في كُلِّ درْب من دُرُوب الحياة، لا يعْرفون الفرق بين الشّهوة الحرام والشّهْوة الحلال، والفرْق بين المَكسَب الحرام والمكْسب الحلال، والفرْق بين المأكل الحرام والمأكل الحلال، بيْن المشْرب الحرام والمشرب الحلال، بين القوْل الحرام والقوْل الحلال، بين المجْلس الحرام والمجلس الحلال، والحفْل الحرام والحفْل الحلال.. إلى غير ذلك من التصرّفات لأنّهُم فقَدُوا القبْلة الربّانيّة المضمُونة بتقْوى الله تعالى وخَشْيته، قال تعالى : ﴿**يا أيُّها الذين آمَنُوا اتّقُوا اللّه وآمنُوا برسُوله يوتكُم كفْلَيْن من رّحْمته ويجْعل لكُن نوراً تمْشُون به**﴾(الحديد : 27) وقال تعالى : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنْ تتّقُوا اللّه يجْعل لكُم فُرْقاناً**﴾(الأنفال : 29).

4) ضمانُ الحصانَة الربّانية :

إن الكثيـر من النّاس المحْظُوظين منْصباً، أو مالاً، أو جاهاً، أو نسَباً يمْتلكون الورقة البيْضاء التي تجعلُهم فوقَ القانون، فوق المُساءلة، فوق مُستوى المُسْتضعفين، لكنّهم مع ذلك لا يمْتلكون ضمانة دوامها، ولا ضمانَة شُمُولها لكُلِّ تقلّبات الزّمان، فهناك من كان في أعْلى عليّين وأصْبح بيْن عشيّة وضحاها في أسْفَل سافلين. لفقدان أسباب الحصانة المُهلْهلة، أمّا الحصانة الربّانيّةُ المنْسُوجة من مَادّة التّقوى فإنها حصانةٌ دائمةٌ، خالدةٌ، شاملةٌ لكُلّ الأحْوال التي يتعرّضُ إليها الإنسانُ المُومن التّقيُّ، فلبَاسُ التّقْوى أصحُّ لباس، وأقوى لباس، وأدْوَمُ لباس، بلْ وأجْملُ لباس يتحلّى به المُومن التّقيّ، ويتحصّنُ داخلَه أمام كل الأخْطار، وأمام كُلّ المكائد والأشْرار، قال تعالى :﴿**وإن تصْبرُوا وتتّقُوا لا يضرّكُم كيْدُهُم شيْئاً إنّ اللّه بما يعْمَلُون مُحيط**﴾(آل عمران : 120)، بل أكْثرُ من ذلك فإن لباس التّقوى يجْلُب المدد الرّبّانيّ الذي لا يقفُ أمامَهُ أيُّ مدد بشَريٍّ مهْما كانتْ قُوتُه، قال تعالى : ﴿**بلَى، إن تَصبرُوا وتتّقُوا ويأتُوكُم من فوْرهم هذا يُمْددْكُم ربُّكُم بخَمْسَة آلاف من الملائكة مُسَوّمين**﴾(آل عمران : 125) فهلْ قوّة الكبار المُتَمترسين خلْف القُوّة النوويّة المُدمِّرة تستطيعُ الوقُوف أمام ملك واحد يسْتطيع بأمْر ربّه أن يخْسف الأرضَ بمَن عليها من الجبابرة والمُستكْبرين المتسلّطين؟! ولكنّ قوْمنا -مع الأسف- لا يعْلمُون!!! وأنّى لهم أن يعْلَمُوا وهُمْ في عبادة أهْواء البَشَر غَارقُون؟!!

5) تلقّي العلْم من عند اللّه الذي أحاطَ بكُلِّ شيْءٍ علْماً :

وكيف لا يتلقّى المُومنُ التّقيُّ العلْم من عند ربّه، وهو مرتبطٌ به ارتباطاً قلْبيّاً وشعورياً وانقياديّا وحبّيّاً ورجائياً؟! وكيف لا يتلقى العلم من عند ربه وهو مُتصلٌ به آناءَ اللّيل وأطراف النهار؟! إذا صلّى فللّه، وإذا صامَ فللّه، وإذا تضرّع فللّه، وإذا قال فللّه، وإذا تعلّم فللّه، وإذا عدَل فللّه، وإذا فرح فللّه، وإذا غضب فللّه، وإذا تزوّج فللّه، وإذا ربّى أولادَه فللّه، وإذا أعْطى فلله، وإذا منَع فللّه، وإذا أكل فلله، وإذا نام فلله، وإذا استيقظ فلله، شعارُه : ﴿**قُلْ إن صلاتي ونُسكي ومحْياي ومماتي للّه ربّ العالمين لا شَريك له وبذلك أُمرْت وأنا أوّل المُسْلمين**﴾ (الأنعام : 165).

فمن ارتبط باللّه ارْتباط العبْد بمولاه، وارتباط الضّعيف بمصْدر قوّته وعزّته، وارتباطَ الجاهل بمعلّمه، وارتباط الجائع بمُطْعمه، وارتباط الظمآن بمنْ فجّر له الأنهار، وأنزل له الأمطار لريّ حلْقه وأرْضه... فمن كان مرتبطا بالله عز وجل هذا الارتباط كان مستنداً إلى الرُّكن الرّكين، والحصْن المتين، يُرشده إذا تاه، ويفتح له الطريق إذا انسدّت أمامه السبُل، وينْصرُه إذا حورب أو تُعُدّي عليه، ويكْلؤه بالعناية الربّانية والألطاف الخفيّة إذا تمالأت عليه شياطين الإنس والجان، في كل زمان ومكان، ويُسخره لدعْوة الإنسان إلى ما يُصلحُه في الحاضر والمآل، بل يجْعله من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

مزايا العلم المُحَصّل عن طريق التّقْوى :

من أكبر مزاياه :

1- التّخْطيط وفْق أكْبريّة اللّه :

فلا يتمُّ التخطيط لممارسة السياسة، أو مُمارسة الاقتصاد، أو ممارسة التّقْنين، والتشريع، أو مُمارسة التّعليم والتّثقيف وارْتياد آفاق البحْث العلْمي وغير ذلك إلا وفقَ أكبريّة الله تعالى في كل شيء، حتى تكون جميعُ المشاريع موحدة القبلة، موحّدة الوجْهة، تُنتجُ أجْيالاً عابدةً شاكرةً، وعلماً عابداً شاكراً، واقتصاداً عابداً شاكراً، وسياسةً عابدة شاكرة، وتشريعاً عابداً شاكراً.

2- الحُكْم وَفق أكبريّة الله تعالى :

الكثيرُ من المتهافتين على كراسيّ الحُكْم والمسؤولية ينَظرون إلى الحُكْم والمسؤولية على أنهُما شرفٌ وغنيمة ليْس وراءهُما تبعاتٌ لا دنيوية ولا أُخرويّة، منْبعُ ذلك كُلّه الهَوَى وحُبُّ المصْلحة الخاصّة، والإفراطُ في الأنانيّة المقيتة، والدكتاتورية العفنة، وهذا يُنتج فساداً على فساد، وامتَعاضاً على امتعاض، وتخلفاً على تخلُّف، وضياعاً على ضياع، وتبعيّة على تبعيّة....

أما الحكمُ وفق أكبريّة الله تعالى فإن الحاكم أو المسؤول يعْتبر نفْسه خليفةً عن اللّه، مراقباً منه في كل اللحظات، وموقوفاً بين يدَيْه لإعطاء الحساب يوم الحساب، ولذلك لا يخْطو خُطوةً، ولا يفكر تفكيراً، ولا يعْزم عزماً، إلاّ وفق رضا ربّه الكبير المتعال، وبذلك تنْصلح الأحوال، وتنتعش الآمال، وتنْطفئ كُلّ أسْباب الفتَن والاضْطرابات... لوجُود الحُكْم العابد الشاكر، اسْمع إلى واحد من الحكّام فوق العادة ماذا قال عندما أعطاه الله مُلْكا لم يعْرفه أحدٌ قبْلَه، ولنْ يعرفَه أحدٌ بعده ﴿**وورث سُلَيْمانُ دَاوودَ وقال يا أيّها الناسُ عُلّمنا منْطق الطّيْر وأوتينا من كُلّ شيءٍ إنّ هذا لهوَ الفضْلُ المُبين وحُشر لسُليمان جنُودُه من الجنّ والانْس والطّيْر فهم يوزعُون حتّى إذا أتَوْا على وَاد النّمْل قالت نمْلةٌ : يا أيها النّمْلُ ادْخُلُوا مساكنَكُم لا يحْطمَنّكُم سُلَيْمان وجنُودُه وهم لا يشعُرون فتَبسّمَ ضاحكاً من قوْلها وقال : ربِّ أوْزعْني أن اشكُرْ نعمتك التي أنْعَمْت عليّ وعلى والديّ وأن اعْمَل صالحاً ترْضاهُ وأدْخلْني برحْمتك في عبَادك الصّالحين**﴾(النمل : 19).

إنّه النبيّ المَلك الحَاكم سليمان |.. الذي سخّر الله له الريّاحَ والجنّ والإنسَ والطّيْر والحَشَرات تأتمر بأمْره، بلْ وعلّمه لغات الطّيْر والحَشَرات، ومع هذا التمكُّن والتمكين لا يسْتغْنَي عن الله مصْدر قوته وعزّته، بلْ يتضرّع إليه طالباً الهداية إلى كل طُرُق الشّكر لتحْصين النِّعم من النقَم، والهداية إلى كُلّ الأعمال الصالحة المرضيّة. فما بَالُ حُكّامنا يهجرون لغة الوحْي، ولغة الحضارة الفريدة، ويرطّنُون ببعض لغات المأكولات والمشروبات والشهوات والمرْكوبات التي لا تخرُج عن دائرة المحسوسات فيظنون أنهم ارتفعوا فوق سَبْع سماوات!! لا يعرفون لربِّهم احْتراماً ولا وقاراً، ولا يعْرفون لقبْرهم انتظاراً!!

3- النظرة للدنيا وفق أكبرية الله تعالى :

على أساس أن ما عند البشر ينْفَدُ وما عند اللّه باقٍ، وعلى أساس أن العاقبة للمتقين في الدنيا والأخرى فالكبير دُنيويّاً هو الصّغير الحقيرُ أُخرويّا، والكبير أُخرويّاً هو المُكَرَّمُ دُنيا وأخرى. ألم يقُل الله تعالى ﴿**تلْك الدّارُ الآخرةُ نجْعلُها للذين لا يُريدُونَ عُلُوّاً في الارْضِ ولا فساداً والعاقبَةُ للمتّقين**﴾(القصص : 83).

إن العُلُوّ في الارض وإفْسادَ الذِّمَم والضّمائر هو ثمرةُ الثّقة بالدّنيا والنظر إليها على أنها دائمةٌ، أو ليْس بعْدها مُؤاخَذَةٌ ولا مُساءَلَةٌ، وتلك النظرة -مع الأسف- هي التي تكاد تُسَيْطر على عُقول المسؤُولين في البلاد المُسلمة الذين ينْتَمُون إلى الإسلام رسْماً وشكْلاً، ولا يعْرفونَه روحاً وجَوْهراً، فياويْلَهُم يوم يجدُون أنْفُسَهُم عُراةً من لباس التّقْوى، فيُقال لكل واحد منهم : ﴿**ذُقْ إنّك أنْت العزيزُ الكريم إنّ هذا ما كُنْتُم به تمْترون**﴾، ﴿**إنّ المُتّقين في مَقام أمين**﴾(الدخان : 48).

فهلْ تتنوّر القُلوبُ بعْد زحْف حُجُب الجَهْل والظّلم والفَساد والاسْتبْداد؟! ذلك

ذ. المفضل فلواتي

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

في ظل تراجع الموارد الضريبية

يرجح خبراء في المالية العمومية أن تلجأ السلطات العمومية في المغرب إلى الاقتراض من الخارج من أجل تمويل نفقات الميزانية في السنة القادمة، في ظل تراجع العائدات الجبائية التي تأثرت بتباطؤ النشاط الاقتصادي جراء الأزمة الاقتصادية.

غير أن الوضعية المالية التي يعرفها المغرب في ظل تراجع موارد الميزانية بالموازاة مع انخراط السلطات العمومية في نفقات عصية على الضغط، تنذر بالعودة لتعبئة موارد ظن العديدون أن عهدها ولى من قبيل الاقتراض من السوق الدولي أو السوق الداخلي أو طلب تسبيقات بنك المغرب التي تشكل في ظرفية متسمة بتراجع السيولة البنكية عامل إزاحة للقطاع الخاص.

ويشير الاقتصادي المغربي محمد نجيب بوليف إلى أنه في ظل انخفاض الموارد العادية، قد تلجأ السلطات العمومية إلى بعث مسلسل الخوصصة الذي كبحته في السنة الفارطة، حين اقترحت مؤسسات من بينها، الخطوط الملكية الجوية، ضمن قائمة تلك القابلة للخوصصة، وهو الخيار الذي يبدو صعبا تسويقه بالنظر لردود الأفعال التي أثارها بدعوى ضرورة الاحتفاظ في كنف الدولة على بعض المؤسسات العمومية التي تعتبر «أبطالا وطنية»، في نفس الوقت يعتبر بوليف أن انخفاض أسعار المواد الأولية خلف فائضا مهما على مستوى نفقات الدعم التي يمكن أن ترحل إلى ميزانية السنة القادمة، غير أنه لا يستبعد أن يتم اللجوء إلى الاستدانة من الخارج، خاصة أن الحكومة ستمضي لا محالة في عملية إصلاح الضريبة على الدخل، التي ستُفقد خزينة الدولة حوالي 4 ملايير درهما.

المصطفى أزوكاح

خبير بريطاني مزيف في مجال الإرهاب اعترف بتلفيق أكاذيب عن التطرف الإسلامي

لندن -يو بي آي- اعترف رجل بريطاني انتحل صفة خبير في مجال الارهاب بأنه خدع صحفاً محلية وسياسياً بارزاً ولفّق روايات كاذبة عن التطرف الإسلامي.

وقالت صحيفة "الصن" إن غلين جينفي اعترف بأنه لفّق رواية قيام متطرفين في بريطانيا بإعداد لائحة بأسماء شخصيات يهودية بارزة لتصفيتها، خلال مقابلة أجرتها معه المحطة الرابعة لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي).

وأضافت أنه انتحل شخصية متطرف إسلامي في موقع للمتشددين على الأنترنت، وقام بحث المسلمين على وضع لائحة بأسماء شخصيات يهودية لضربها.

وأشارت إلى أنه سرّب اللائحة إلى وكالة أنباء بريطانية وإلى باتريك ميرسر النائب عن المحافظين المعارض.

ونسبت "الصن" إلى النائب ميرسر، الضابط السابق في الجيش ورئيس اللجنة البرلمانية الفرعية لمكافحة الإرهاب قوله «أنا مسؤول عن ترويج هذه الرواية، وأعتذر لجميع اليهود البريطانيين الذين أُصيبوا بالذعر».

● **جريدة القدس ع 17/9/2009**

إعلان

يعلن المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء عين الشق عن انطلاق حصص منتظمة في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم قواعد التجويد للصغار والكبار من الجنسين.

كما يعلن عن انطلاق حملة محو الأمية وتعليم قواعد اللغة العربية والقراءة والكتابة لفائدة غير المتمدرسين وذلك ابتداء من يوم السبت 06 شوال 1430هـ الموافق لـ 26 شتنبر 2009م.

فعلى الراغبين في الاستفادة من هذه الدروس أن يتقدموا لتسجيل أنفسهم أو أبنائهم بمقر المجلس العلمي الكائن بملتقى شارع محمد السادس وشارع القدس حي الإنارة.

تقرير لجنة غولدستون وصمت الأنظمة العربية

بدأت الحكومة الإسرائيلية حملة دبلوماسية مسعورة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ضد تقرير لجنة غولدستون الأممية، حول جرائم الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة، تركز على كيفية منع وصوله إلى مجلس الأمن الدولي ومحكمة جرائم الحرب الدولية في لاهاي، وبما يحول دون ملاحقة قادتها السياسيين والعسكريين.الحكومات العربية خيبت ظننا وأثبتت أنها، فعلا، في حالة موات سياسي ودبلوماسي كامل، فلم نسمع أو نقرأ عن أي تحرك دبلوماسي، أو تشكيل لجنة قانونية، أو وضع خطة محكمة لإيصال التقرير إلى مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، حتى السلطة الفلسطينية في رام الله صامتة، ورئيسها السيد محمود عباس صامت كليا أيضا....

عبد الباري عطوان ("المساء" عدد 2009/9/24)

ترانسبارانسي الدولية تكشف «عدم فعالية» مؤسسات الرقابة المالية بالمغرب

انتقد تقرير جديد لترانسبارانسي الدولية عن علاقة الرشوة بالقطاع الخاص عدم فعالية مؤسسات الرقابة المالية بالمغرب.

وجاء في التقرير أن عددا كبيرا من المؤسسات المكلفة بالمراقبة المالية بالمغرب «غير فعالة» مثل المراقب العام والمفتش العام والوزراء ومجلس الحسابات.

وأشار التقرير إلى أن القانون يفرض رقابة صارمة على كل الصفقات العمومية التي تفوق قيمتها خمسة ملايين درهم، وإن الافتحاص المالي لا يتم إجراؤه في غالب الأحيان، وحتى في الحالة التي يتم فيها إجراء مثل هذه الافتحاصات، فإن نتائجها تبقى بدون أثر يذكر.

وأضاف التقرير أن الرشوة والفساد المستشريين في القطاع الخاص مرتبطان ارتباطا وثيقا بالقطاع العام وأساسا بمشكل الحكامة الرشيدة.

وأوضح أن الدراسات التي قامت بها ترانسبارانسي المغرب كشفت أن 7 في المائة من الشركات فقط هي التي حاولت مواجهة حالات فساد وارتشاء، وهذا «الموقف السلبي يرتبط بشعور بالعجز. فالشركات غير مقتنعة اقتناعا راسخا بأنها ستربح في حالة مواجهاتها للفساد، وبعضها تخاف من خلق المشاكل لها».

وللرشوة انعكاس على اقتصاد البلدان. وتشير الإحصائيات إلى أن عدم الشفافية في تمرير الصفقات العمومية لها كلفة تساوي 5.0 في المائة من الناتج الوطني الخام بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقال التقرير إن خسارة المغرب سنويا نتيجة مثل هذه الممارسات تقدر بحوالي 6.3 مليارات دولار.

وعلى صعيد آخر، انتقدت ترانسبارانسي المغرب، في دورتها العادية التي انعقدت مؤخرا، الممارسات التي شابت الانتخابات الجماعية وما تلاها من اقتراعات (مجالس العمالات والجهات) من قبيل شراء أصوات وتدخلات الإدارة وهيمنة الأعيان والتحالفات المخالفة للتعاقدات التي قام بها المرشحون وهيئاتهم السياسية. وانتقدت ترانسبارانسي المغرب، التي حصلت مؤخرا على صفة المنفعة العامة، بعد أربع سنوات من الانتظار تقريبا، بشكل خاص عدم فعالية الآليات الإدارية والقضائية الرادعة، وهو الأمر الذي يعمق عدم ثقة المواطنين في المسلسل الانتخابي برمته.

جريدة المساء عدد 937

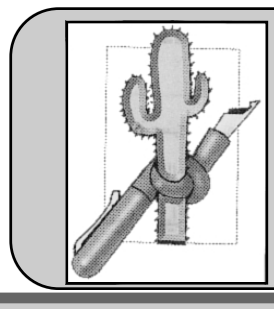

ألم قلم

انتخاب مدير اليونسكو : امتحان رسوب بامتياز

من يتتبع مسار المرشح المصري للأمانة العامة لليونسكو فاروق حسني منذ سنة على الأقل، أي من بداية تصريحه حول الكتب الإسرائيلية وما يتبع ذلك -أو ما كان قبل ذلك- من مواقفه وتصريحاته التي اتسمت عادة بمعاداة الإسلام تدينا وثقافة وحضارة، كموقفه من حجاب المرأة وموقفه من جائزة الدولة التقديرية التي منحها لـ"سيد القمني" الذي اشتهر هو الآخر بمواقفه المعادية للإسلام، مما جرّ على فاروق حسني وزير الثقافة المصري دخول مجموعة من العلماء والمثقفين المصريين في مواجهة معه وأطلقوا دعوة لمنع ترشيحه لمنصب اليونسيوا بسبب مواقفه المعادية للإسلام والموالية للغرب.. ثم تابع ذلك أثناء معركة الترشيح التي خاضها من أجل الحصول على مقعد اليونسكو حينما أعلن عن رغبته في زيارة الكيان الصهيوني المحتل والاعتذار علنا في الكنيست الإسرائيلي عما اعتبره "زلة لسان" بدرت منه السنة الماضية في تصريحه عن الكتب الإسرائيلية...

أقول إن من يتتبع هذا المسار يستحضر دون شك قول الله تعالى في الآية الكريمة : ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ ذلك أن الرجل خسر على كل الواجهات : الدينية والوطنية والعربية العالمية.

فلقد تلطخت سمعته من الناحية الدينية، نتيجة مواقفه المسيئة للإسلام التي توجت بمنحه الجائزة التقديرية لـ"القمني" مما دفع العديد من الجهات والشخصيات إلى التنديد بهذا الموقف، كالأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأزهر، ورئيس اللجنة الدينية بالبرلمان المصري، والأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية وغيرهم من الشخصيات.

وسقطت مكانته الوطنية والعربية حينما أعلن عن استعداده لزيارة الكيان الصهيوني، خاصة بالنسبة للشعب المصري الذي عرف عنه شدة مقاومته للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

وسقطت مكانته على المستوى الدولي، بخسارته منصب اليونسكو، ولقد دفعت تصريحات فاروق حسني أثناء فترة الترشيح بعض الجهات الدولية إلى اتهام مصر والوزير بالذات بازدواجية المواقف.

معنى هذا؟؟؟ معناهُ في أبسط دلالاته أن الطرف الآخر لا يقبل أي شيء له صلة بالإسلام أو العروبة حتى ولو كان اسماً دون مسمّى، فالوزير فاروق حسني رغم مواقفه المعادية للإسلام، فهو عربي على كل حال، وبالتأكيد أن في ذاكرته المخزنة شيء إيجابي عن الإسلام وحضارته، لذلك السبب فإن الطرف الآخر حريص على ألا يمر "شيء" إلى العلوم والثقافة العالمية لهُ صلة إيجابية بحضارة الإسلام، مما يعني أن شعار حوار الأديان والثقافات يبقى مجرد شعار لا غير، ولا علاقة له بالواقع.

معناه أيضا أن ما يسمى بـ"الديمقراطية" شيء زائف وشكلي سواء أكانت على المستوى المحلي والإقليمي التي تصل فيها النتائج إلى 99٪ أم على المستوى الدولي كانتخاب اليونسكو التي كشفت بوضوح لذي عينين مدى الضغوط والطبخات ا لتي مرت بها عملية التصويت، حتى إن وزير الثقافة المصري الخاسر في هذه الانتخابات صرّح فوْر عوْدته إلى مصر قادما من باريس، أن المنظمة تخضع للتّسْييس، وأن ضغوطا صهيونية رهيبة مورست ضده، وأن طبخة استبعاده أُعدت في نيويورك، بمعنى أن ليست هناك أي ديموقراطية على الإطلاق.

ومعنى هذا أيضا أنه لا فلاح لنا ولا نجاح ولا مكانة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي إلا بالتمسك بقيمنا وحضارتنا... وأن التزلف لغيْرنا والتملق له والانبطاح له على حساب ديننا وقيمنا لن يخدم قضيتنا في شيء، فنخسر بذلك علاقتنا بشعوبنا، ونخسر مكانتنا في نظر الآخر فيتّهمنا بالتذبذب والازدواجية في المعايير.

إن مسار ترشيح الوزير المصري لمقعد اليونسكو ينبغي أن يكون درساً لجميع اللاهثين وراء بريق الآخر والطاعنين في الإسلام وحضارته، والغريب كل الغرابة أن يصدر عن جهة من داخل وطننا من اللاهثين نحو التطبيع تصريحات تعلن فيها شماتتها من خسارة الوزير المصري، وتعتبر هذه الخسارة "انتصاراً" للديموقراطية و"اندحاراً" للعروبة والإسلام، هكذا!!! أي انتصار وأي اندحار؟؟ وأي ديموقراطية وأي عروبة؟؟ لكن ﴿على قلوب أقفالها﴾ وإنها ﴿لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

د. عبد الرحيم بلحاج

د. مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي بوجدة

يمكن القول بداية إن المنافقين تنوعت أهدافهم وكثرت أغراضهم واتسعت مجالات اشتغالهم، غير أنه يمكن إجمالها عموما في ثلاثة:

- استهداف الرسول ﷺ.
- استهداف الأمة.
- استعداء الخصوم على الإسلام وإشعال فتيل الصراع الحضاري مع الإسلام.

ويمكن تفصيل ذلك كما يلي

1- استهداف الرسول ﷺ :

بـ :

● **الحقد عليه والتنقيص من قيمته والكيد له والسعي لقتله وتصفيته جسديا.**

● **محاولات تصفية الرسول جسديا كانت بمكة والمدينة معا:** ففي مكة حاول كفار قريش التخلص من النبي ﷺ بقتله وتصفيته جسديا، وكان أهم تلك المحاولات تلك التي اجتمعوا فيها ليلة الهجرة واتفقوا على أن تنتدب كل قبيلة -وكانوا ثلاثين قبيلة- واحدا من فتيانها ويقتلوا محمدا بضربة واحدة ويتفرق دمه في القبائل ويعجز بنو هاشم عن الثأر فيسهل على القبائل دفع ديته.

كما حصلت محاولات أخرى في المدينة خاصة بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد إذ اتفق جماعة من المنافقين مع اليهود على قتل النبي ﷺ بأن يلقوا عليه حجرا وهو جالس لكن الله فضحهم وأخبر رسوله ﷺ عن طريق الملك الكريم جبريل عليه السلام.

وحصلت محاولة أخرى بعد غزوة تبوك حيث احتال إثنا عشر من المنافقين على قتل رسول الله بالعقبة وقد كانوا ملثمين ، وكان مع رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فتفطن حذيفة للخطة وأشهر سيفه وانكشف أمرهم وخافوا الافتضاح فعادوا إلى وسط الناس.

● **التنقيص من شخص الرسول ومن مكانته والطعن في قدرته العسكرية والإدارية:** ومن أبرز هذه المحاولات ما قام به أبي بن سلول في المدينة حين انهزم المسلمون في غزوة أحد بعد أن عصى الرماة رسول الله وغادروا مواقعهم لينشغلوا بالغنائم ، وكان أبي ابن سلول قد اقترح على النبي ﷺ خطة لكن النبي عدل عنها واختار ما أشار عليه به أصحابه. فاغتنمها هذا المنافق فرصة للنيل من كفاءة رسول الله وقدرته العسكرية، واتهامه بالضعف عن التسيير والتدبير وقال لولده إن محمدا عصاني واتبع الولدان إشارة إلى ترك رسول الله ﷺ رأيه واتباع رأي أصحابه الكرام.

● **الطعن في قدرة الرسول على العدل :** كما حدث بعد غزوة حنين عندما وزع رسول الله ﷺ الغنائم على أشراف قريش ومنهم الطلقاء الذين كانوا ما يزالون على كفرهم، فجاء رجل من المنافقين وخاطب النبي بلهجة نابية قائلا : اعدل يا محمد ، فغضب الرسول ﷺ وقال ويحك من يعدل إن لم أعدل. وقصد هذا المنافق واضح هو الطعن في عدالة النبي ﷺ في الحكم والقسمة بين الناس وبين المسلمين.

تفسير سورة المنافقون 5

أهداف المنافقين ومجالاتها

وكان لهذا الطعن أثره في نفوس الأنصار احتاج معه النبي ﷺ إلى تهدئة النفوس وتطييب الخواطر فقال للأنصار : ألا ترضون أن يعود الناس بالإبل والغنم وتعودوا أنتم برسول الله ؟ فقالوا بلى، رضينا يا رسول الله.

● **الطعن في عرض الرسول باختلاق حديث الإفك واتهام عائشة رضي الله عنها بالزنا والحرص على نشر ذالك بين المسلمين والمنافقين والكفار،** وكادت هذه الافتراءات أن تنال من إيمان بعض المسلمين وكان القصد من ذلك هو النيل من عرض رسول الله ﷺ والطعن في شرفه وشرف أهل بيته، لكن الله سلم وبرأ أم المؤمنين عائشة الطاهرة وأنزل في حقها البراءة بقيت تتلى إلى يوم القيامة وأنزل وعيدا بالعذاب في جهنم للذين كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

ولئن كانت حركة النفاق في عهد الرسول ﷺ استهدفت من بين ما استهدفته شخص رسول الله ﷺ تنقيصا وطعنا وغمزا ومحاولة قتل فإنه لا تزال إلى اليوم هذه الحركة تدأب جاهدة في الطعن في رسول الله ﷺ وعرضه وعدله والتنقيص من كرامته وقدره ولا يزال المنافقون الجدد يشنون حملات التشويه في النبي وفي سنته ويقودون حملات التشكيك في نبوته ورسوليته إلى العالمين.وذلك بقصد فصل الأمة عن ثوابتها وتشكيك أبنائنا في عقيدتهم وإخراجهم منها وإبعادهم عنها.حتى يسهل عليهم اختراقها والتحكم في مصيرها، وفي شؤون الحكم، لأن المنافقين لا يحرصون إلا على المصلحة الخاصة فهم معها أينما وجدت، وفي لحظة ضعف المسلمين يتجه المنافقون دوما إلى التحالف مع الخصوم والأعداء الخارجيين واستمداد القوة والعون والمدد المادي والمعنوي منهم والاستقواء بهم على المسلمين كما هو حاصل اليوم.

2- استهداف الأمة :

والمقصود هنا أن المنافقين يعملون جاهدين في الخفاء وفي العلن من أجل القضاء على مقومات الأمة المسلمة ومحو معالم هويتها الإسلامية لغة وثقافة وفكرا وشعائر وسلوكات وعادات اجتماعية ذات جذور إسلامية راسخة.

ومن مظاهر هذا المكر المعاصر الدعوة إلى إلغاء الشريعة الإسلامية وأحكامها ورميها بالجمود والتحجر والقدم وعدم صلاحيتها للعصر الحالي وللمدنية المعاصرة، وتعويضها بالقوانين الأوروبية المعاصرة أو بأعراف القبائل المحلية وتقاليدها باعتبارها تمثل في نظرهم الأصول الثقافية الحقيقية لهذه القبائل قبل دخول الإسلام والتي لم يستطع الإسلام التأثير فيها وتغييرها،

ومن صور هذا الهجوم على الأمة اعتبار الفلكلور الشعبي من غناء ورقص ومواسم شعبية هي المعبر الحقيقي عن هوية المغاربة وبقية الشعوب الإسلامية، وتوسعوا في إقامة المهرجانات الخاصة بذلك إلى حد البذخ والتبذير والإسراف والإفراط، والغرض من هذا هو إبراز أن الدين الإسلامي لم يستطع التجذر في الكيان الجمعي للأمة، ولا استطاع المغاربة في تاريخهم تحويل الإسلام إلى ثقافة وممارسة اجتماعية أصيلة وعميقة، وبالتالي يتسنى لهؤلاء الادعاء بأن المغاربة لم يكونوا مسلمين حقيقة ولا هم كذلك اليوم.

غير أن هؤلاء نسوا أو تناسوا بأن الثقافة الإسلامية في البلدان الإسلامية عميقة الجذور حقيقة، وتتجلى في كثير من المظاهر مثل مظاهر التكافل الاجتماعي والاقتصادي وجميع أشكال التعاون والتآزر (التويزة) والعناية بمؤسسات العلم ودور القرآن وتحفيظه والتنافس في ذلك بين القبائل والمداشر، وتقدير العلماء وحملة العلم الشرعي تقديرا منقطع النظير جعلهم يرفعون مقام العلم والعلماء في أسمى المراتب ويقدمونهم في كل شيء، فالفقيه في المجتمع المغربي ومكانته لا يعلو فوقها أحد.

كما يلجأ المنافقون الجدد في حربهم على كيان الأمة إلى رفع شعارات براقة لكنها زائفة في مضمونها هادمة للإسلام ولشعائره، من ذلك مثلا شعار الأصالة المغربية دون تحقيق مضمونه، فأصالة المرأة المغربية تعني في نظرهم لباس القفطان واللباس التقليدي واستعراض جمال المرأة ومفاتنها. ونسي هؤلاء أن أصالة المرأة المغربية تكمن في الحياء والوقار والتعفف والتصون من الفحش والرذيلة ومن كل ما يهينها ويخدش كرامتها. وبالتالي فليست الأصالة عند المنافقين الجدد إلا ستارا يتسترون وراءه لإسقاط كل مظاهر الأصالة.

3- استعداء الخصوم على الإسلام وإشعال فتيل الصراع الحضاري مع الإسلام :

هذا وجه آخر وغرض من الأغراض الكبرى للمنافقين الجدد إذ تجدهم أحرص ما يكونون على التحالف مع كل القوى المعادية للإسلام والمسلمين والوقوف بجانب الأعداء في حربهم على الإسلام، وأكثر من هذا تجدهم أشد عداوة من الأعداء الأجانب وأشد تنكيلا بالمسلمين، وأكثر تضييقا عليهم في كل الحقوق السياسية والفكرية والحريات العامة، والناظر في واقع المسلمين داخل البلدان الإسلامية التي يسيطر عليها العلمانيون واليساريون والتقدميون والبعثيون وأدعياء الديمقراطية والحرية تجدهم أقل حظا من غيرهم من الطوائف والأحزاب في التمتع بالحقوق السياسية والثقافية...، بل إن هؤلاء المنافقين يسبقون الدول الغربية في التخويف من الإسلام ومن المسلمين ويضخمون الأحداث ويهولون منها، وقد يتعمدون صنع أحداث وتلفيقها زورا للمسلمين من شأنها إثارة الخوف والرعب في نفوس المواطنين وجلب العداوة والكراهية لهذا الدين وحملته سواء في الداخل أو الخارج. وقد كان كثير من العلمانيين الجدد مسؤولين عن إشعال فتيل الصراع الحضاري بين المسلمين والغرب وتسعير شرارته، سواء في المنابر الفكرية أو الإعلامية والصحفية أو القرارات السياسية، وحتى في الكتابات الأدبية والسينمائية...

والخلاصة أن حركة النفاق ظلت أهدافها واحدة قديما وحديثا وهي الطعن في الدين واستهداف الرسول ﷺ واستهداف الأمة في هويتها ومقوماتها واستعداء الخصوم على الإسلام وإشعال فتيل الصراع الحضاري مع الإسلام، وذلك من أجل غاية واحدة هي القضاء على الإسلام وفصل الأمة عن دينها ومحو ما تبقى من آثار الإسلام.

إشراقة

السلام آناء الليل وأوقات النوم

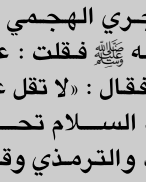

ذ. عبد الحميد صادوق

عن المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل قال : «كنا نرفع للنبي ﷺ نصيبه من اللبن فيجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلم»(رواه مسلم).

كان النبي ﷺ يربي بالقدوة على الآداب الكريمة والأخلاق الفاضلة ليجعل من المسلم إنساناً خفيف الظل رهيف الحس، إنها الآداب التي تنشر في الأمة جواً من الوعي والنباهة، التي تجعل المسلم يلتزم في كل ظرف ولحظة بما يناسبهما من الحركة والكلام، وإنها التربية النبوية التي تجعل ذهن المسلم يتفتق على أرقى ذوق وأرهف شعور في الحياة. وإن المتأمل في هذا التصرف النبوي الحكيم الذي أشار فيه رسول الله ﷺ إلى أزكى التعاليم جدير بأن يبعد المسلم عن الذين تبلدت عقولهم، وماتت أحاسيسهم وانطمست مشاعرهم، واستغلقت أذهانهم.

وإننا نجد في هدي النبي ﷺ ما يجعل المسلم يميز في سلامه وكلامه بين الحي والميت والنائم واليقظان فيخاطب كل واحد بما يحتاجه من الرّفع والمُخافتَة، عن أبي جري الهجمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : عليك السلام يا رسول الله فقال : «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى»(رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح). وهذا الحديث فيه مراعاة مشاعر الأحياء والأموات عند قراءة السلام، قال الخطابي رحمه الله تعالى : هذا يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له عليك السلام كما يفعله كثير من العامة وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال : السلام عليكم أهل دار قوم مومنين فقدم الدعاء -أي السلام- على اسم المدْعُو له وهو الأنفع للميت، وإنما كان ذلك القول منه إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء، وهو خلاف الأولى في الإحسان إلى شعور الميت.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً»(رواه البخاري)، وهذا محمول على ما إذا كان الجمع كثيراً.

هكذا كان يجعل كلامه على مراحل وطبقات ثلاث حتى إذا رأى أن الأولى لم تبلغ الآذان والأذهان زاد عليها قليلاً، قال أبو الزناد رحمه الله تعالى : إنما يكرر الكلام ثلاثا، والسلام ثلاثا إذا خشي أن لا يفهم عنه، أو لا يسمع سلامه. قال ابن بطال رحمه الله تعالى : وفيه أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار به(شرح البخاري .162/1). فلا يزيد فوق ثلاث ولا يرفع فوق نفس الصوت الثالث قال ابن العربي رحمه الله تعالى : الأولى استعلام، والثانية تأكيد، والثالثة إعذار.

11 شوال 1430هـ - 01 أكتوبر 2009 م- العدد: 325

هجرة الرسول ﷺ 2

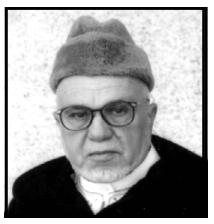

ذ. المفضل فلواتي

2) أبو بكر يقدم راحلة للرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق: فلما قرّب أبو بكر رضي الله عنه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قدَّم له أفضلهما، ثم قال: اركبْ فداك أبي وأمي؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركبُ بعيرا لَيْسَ لي»؛ قال: فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؛ قال: «لا، ولكن ما الثَّمَنُ الذي ابتعتهما به»؟ قال : كذا وكذا؛ قال: «قد أخذتها به»؛ قال: هي لك يا رسول الله(1). فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فُهيرة مولاه خلْفه، ليخدمهما في الطريق.

قال ابن إسحاق بسنده : عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفرٌ من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم؛ فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت : قلت : لاأدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثًا، فلطم خدّي لطمةً طَرَحَ منها قُرْطِي.

قالت : ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال. وما ندري أين وجْه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتْبَعونه، يسمعون صوتَه وما يرونه، حتى خرج من أعْلَى مَكَّة وهو يقول :

جَزَى اللهُ ربُّ الناس خَيْرَ جَزَائِه
رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلاَ بِالبِرِّ ثُم تَرَوَّحَا
فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِى كَعْب مَكَانُ فَتَاتِهِمْ
وَمَقْعَدُهَا للمُؤْمِنِينَ بِمِرْصَدِ

قال ابن هشام: أم معبد(2) بنت كعب، امرأة من بني كعب، من خزاعة.

قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: فلما سمعنا قوله، عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وَجْهَهُ إلى المدينة وكانوا أربعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعامر ابن فُهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أُرَيْقِط دليلُهما.

وقالت : لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر مالَهُ كُلَّهُ، ومعه خمسةُ آلاف درهم، أو ستةُ آلاف، فانطلق بها معه. فدخل علينا جديّ أبو قحافة، وَقَدْ ذهب بصره، فقال: والله إني لأَرَاهُ قد فجَعَكم بماله مع نفسه. قالتْ: قلتُ: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيرا. فأخَذْتُ أحجاراً فوضَعْتُها في كُوَّة في البيت الذي كان أبي يَضَعُ مَالَهُ فيها، ثم وضعتُ عليها ثوبًا، ثم أخذتُ بيده، فقلت: يا أبت، ضَعْ يدك على هذا المال. قالتْ: فوضَعَ يده عليه، فقال: لا بَأْس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أَحْسَنَ، وفي هذا بلاغٌ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكني أردت أن أُسَكِّنَ الشيخ بذلك.

3) خبر سراقة بن مالك :

قال ابن إسحاق: بسنده عن سراقة بن مالك بن جعشم(3)، قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة، جعلت قريش فيه مئة ناقة لمن رَدَّهُ عليهم. قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذْ أقبل رجل مناّ، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت رَكبَةً ثلاثة مرُّوا علي آنفا، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أَنْ اسكُت، ثم قلتُ: إنما هم بنو فلان، يبتغون ضَالَّةً لهم؛ ثم مكثتُ قليلا، ثم قمتُ فدخلت بيتي، ثم أمرْتُ بفرسي، فَقُيِّد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأُخرج لي من دُبُر حجرتي، ثم أخذت قِدَاحي التي أَسْتَقْسِم بها، ثم انطلقت، فلبست لأَمَتي(4)، ثم أخرجت قداحي، فاستقسمتُ بها؛ فخرج السهم الذي أَكْرَهُ "لا يَضرُّه"(5). قال: وكنتُ أرجو أنْ أردَّه على قريش، فأخذَ المئةَ الناقة. قال: فركبتُ على أثره، فبينما فرسي يشتَدُّ بي عَثَر بي، فسقَطْتُ عنه. فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجتُ قداحي فاستقسمتُ بها، فخرج السهم الذي أكره " لا يضره". قال: فأبيتُ إلا أن أتبعه. قال: فركبتُ في أثره، فبينا فرسي يشتد بي، عثر بي فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟، قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره "لا يضره"، قال: فأبيتُ إلا أن أتبعه، فركبتُ في أثره. فلما بدا لي القومُ ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطتُ عنه، ثم انتزع يده من الأرض، وتبعهما دُخانٌ كالإعصار(6). قال: فعرفتُ حين رأيت ذلك أنه قد مُنِع مني، وأنه ظَاهِرٌ. قال : فناديتُ القوم : فقلتُ : أنا سراقة بنُ جعشم : انظروني أكلِّمْكم، فوالله لا أَرِيبُكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له :"وما تَبْتَغي منَّا؟" قال : فقال لي ذلك أبو بكر، قال : قلت : تَكْتُب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال :"اكْتُبْ لَهُ يا أبا بكر".

فكتب لي كتابا في عَظْم، أو في رُقعة، أو في خَزَفَة، ثم ألقاه إليّ، فأخذْتُه، فجعلتُه في كناني، ثم رجعت، فَسَكَتُّ فلم أَذْكُرْ شيئا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ، وفرغَ من حُنَيْن والطائف، خرجتُ ومعي الكتابَ لألقاه، فلقيتُه بالجعرَّانة(7). قال: فدخلت في كتيبة من خَيْلِ الأنصار. قال: فجعلوا يَقْرَعُونَني بالرِّماح ويقولون: إليك إليك(8) ، ماذا تريد؟ قال: فدنوتُ من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه(9) كأنها جُمّارة(10). قال: فرفعتُ يدي بالكتاب، ثم قلتُ: يارسول الله، هذا كتابُك لي ، أنا سُراقةُ بن جعشم؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: "يَوْمُ وَفَاء وبرّ، أُدْنُهُ". قال: فدنوتُ منه، فأسلمتُ. ثم تذكرت شيئاً أسألُ رسولَ الله ﷺ عنه فما أَذْكُرُه، إلا أني قلتُ: يا رسول الله، الضَّالَّةُ من الإبل تَغْشى حياضي، وقد مَلأْتُها لإبلي، هَل لي من أَجْر فَي أن أَسْقيها؟ قال: "نَعَمْ، في كُلّ ذَات كَبِد حَرّى أَجْرٌ". قال: ثم رجعتُ إلى قَومي، فَسُقْتُ إلى رسول الله ﷺ صَدَقَتي(11).

4) طريق الهجرة :

قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أُرَيْقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيْداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار، ثم سلك بهما ثَنِيَّة المرة، ثم سلك بهما لِقْفاً.

ثم أجاز بهما مَدْلجة لِقْف ثم استبْطن بهما مَدْلجَة مَحَاج ثم سلك بهما مَرْجِح مَحاج، ثم تبطَّن بهما مَرْجِح من ذي العَضَوَيْن ثم بَطْن ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد، ثم على الأجْرَد، ثم سَلَكَ بهما ذا سَلَم، من بطن أعداء مَدْلجَة تَعْهِنَ(12)، ثم على العَبَابيد. ويقال: العَبَابيب.

ثم أجاز بهما الفَاجَة؛ أو الْقَاحَة.

ثم هَبَطَ بهما العَرْج، وقد أبطأ عليهما بَعْضُ ظهرهم، فَحَمَل رسولَ الله ﷺ رجُلٌ من أَسْلَمَ، يقال له: أَوْسُ بْنُ حَجَر، على جمل له إلى المدينة، وبعَثَ معه غلاما له، يقال له: مَسْعُود بن هُنَيْدَة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج، فسلك بهما ثنية الغائر، عن يمين رَكُوبَة حتى هَبَطَ بهما بَطْنَ رِئْم، ثم قدم بهما قُبَاء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الأول يوم الإثنين، حين اشتدَّ الضَّحاء، وكادتْ الشمسُ تَعْتدل.

5) شرح الأماكن التي مر بها رسول الله ﷺ في طريق هجرته

لقد سبق القول أن أبا بكر استأجر عبد الله بن أُرَيْقط وكان مشركا ولكنه مأمون ثقة خرِّيت أي ماهرٌ خبير بطرق الصحراء ومجاهلها لأنه وضع في اعتباره عدة أمور، من جملتها:

1- أن تكون الطريق التي سيسلكها غير الطريق الجادَّة الواضحة المطروقة بكثرة.

2- أن تكون الطريق أقصر طريق ما أمكن

3- أن تكون الطريق مستورة عن نظر العدو

4- أن تكون الطريق تتوفر على موارد المياه للشرب وسقي الدواب

5- ألا يمشي في الطريق المطروقة المعهودة إلا ليلا إذا اضطر إليها

6- إذا أدركه الصباح وهو على الطريق المعهودة اختفى في مكان مستور

7- كان يحاول جهد الإمكان أن يمر ببلاد خزاعة لأنها ليست على وفاق مع قريش

وهذه هي أشهر الأماكن التي مر بها:

عُسْفان: بلدة عامرة على بُعد 80كلم من مكة شمالا

أَمَج: على بُعْد 100 كلم من مكة شمالا

قُدَيْد: على بُعْد120 كلم من مكة شمالا

الخَرَّار: هو وادي الجُحفة وغدير خُم

المَرة: بين غدير خم والفرع

لِقْفًا: واد من روافد الفرع

المَدْلجَة: الموضع الذي يُدْلَجُ فيه آخر الليل وهي بين الحوض والبئر.

مَدْلجة محاج: واد مقابل لمصَبّ العَضَوَيْن

مرجح محاج: شِعْب يصب في محاج من الشمال.

بطن ذي كَشْر: تلعة في وادي ثقيب يأخذها الطريق إلى القاحة.

الجداجِد: عبارة عن آبار، ولا تُعرف اليوم

الأجْرد: طريق قديم قد هُجر

القاحة: واد عظيم ذو روافد كثيرة.

العَرْج واد من أودية الحجاز التهامية.

الغائر: أو العائر يقع شمال رَكوبة التي لا تُعرف اليوم.

1- إنما لم يقبل رسول الله ﷺ الراحلة منه إلا بثمنها رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكمال فضل الهجرة، وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما أي خالصة لوجهه تعالى ليس لأحد فيها يدٌ.

2- واسم أم معبد: عاتكة بنت خالد. ويحكى أن رسول الله ﷺ مر على خيمتها هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما، وكانت أم معبد برزة جلدة تحتبئ بفناء القبة، ثم تسقى وتطعم، فسالوها لحما وتمرا يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها شيئا، وكان القوم مرملين مسنتين، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة بكسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم؛ فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك؛ قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: بأبي أنت وأمي! إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، فسمى الله تعالى، ودعا لها في شأنها، فتفاجَتْ عليه، ودرَّتْ واجْتَرَّتْ، ودعا بإناء يربض الرهط، -يشبعهم- فحلب فيه ثجا، حتى علاه لبنها، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها على الإسلام، ثم ارتحلوا عنها. فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزاً عجافا، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد؟ والشاة عازب حيال، ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مُبَارَك، من حاله كذا وكذا؛ قال: صفيه يا أم معبد؛ فوصفته له في كلام طويل، كله الحق؛ قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، لقد هممتُ أن أصْحَبَهُ، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلا.

3 - وينتهي نسب سراقة إلى بني مدلج.

4- اللأمة : الدرع والسلاح.

5 - لا يضره: أي السهم المكتوب فيه هذه الكلمة.

6- الإعصار: ريح معها غبار.

7 - الجعرانة ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

8 - إليك: معناه: إليك عنا. أي ابتعد.

9 - الغرز للرحْل: بمنزلة الركاب للسرج.

10 - لب فسيل النخل أو رأس النخل، والمقصود شدة بياضها.

11 - وقد ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ سماه عبد الرحمن، لأن سُراقة اسم مَكْرُوه.

12 - تعهن: اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقي بين مكة والمدينة.

كتاب «أبي بكر الصديق» لـ«خالد بن الوليد» رضي الله عنهما

كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خاد بن الوليد رضي الله عنه وهو باليمامة : «من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. السلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد : فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعزّ وليه، وأذل عدوّه وغلب الأحزاب فرداً، فإنّ الله الذي لا إله إلا هو قال : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾.

وعْداً لا خلف له، ومقالاً لاريب فيه، وفرض الجهاد على المؤمنين فقال : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾.

فاستتمُّوا بوعد الله إياكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم، وإن عظمت فيه المؤنة، واستبدّت الرزية، وبعدت الشُّقة، وفُجعتم في ذلك بالأموال والأنفس، فإن ذلك يسير في عظم ثواب الله، فاغزوا رحمكم الله في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق، فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه ولا تتثاقلوا عنه، فإنّه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته، وعظمت في الخير رغبته، فإذا وقعتم العراق، فكونوا بها حتى يأتيكم أمري، كفانا الله وإياكم مهمّات الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روعة الانتساب التعبدي 2

د. فريد الأنصاري

في العدد الماضي تحدث فضيلة الدكتور عن العبادة وكيف أنها تعتبر عنوانا للجمال وشعاراً للمحبة وأنها تدل على الخضوع والانقياد كما قرر فضيلته أنها رغبة لارهبة وتحدث عن علاقة النسبي بالمطلق. كما تحدث عن مفهوم الانتسابية ليتوقف مع سؤال : لماذا الإنسان؟، مختتما الجواب بقوله : هذا هو الإنسان! يعبير لا يوحي بالأنس والطمانينة والسلام وإنما يوحي بالتكليف والحساب!.
ونواصل مع هذا الحديث الشيق في محوري التوصيف بالآدمية وبالعبودية.

التوصيف بالادمية

وأما الثانية فهي نداء الله عباده بتعبير "بني آدم"، وهو قريب في الدلالة من لفظ "الإنسان". بل إن بينهما تداخلا واشتراكا؛ لأنه إذ ينسب إلى أبيه آدم عليه السلام يحيل على خصائص "الآدمية". وآدم عليه السلام هو ذلك المخلوق من طين، المنفوخ فيه من روح رب العالمين. إلا أن الإيحاء هنا لا يركز على جانب الأمانة والمسؤولية والتكليف، بقدر ما يركز على جانب واحد من ذلك كله؛ ظاهر على كل الصفات المضمرة في "الآدمية"، المشاركة للفظ "الإنسان". وهذا الوصف الظاهر البارز في النداء بـ"بني آدم" هو: ضعف العزيمة والنسيان، وهو مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾(طه:115). ولذلك كان النداء بـ"بني آدم" دالا على معنى التذكير والتنبيه؛ إذ تعلق بمخلوق شأنه العام هو النسيان وضعف العزيمة. قال تعالى مذكرا ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾(يس:60). وهذا العهد هو المذكور في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف:172).

وهو التنبيه الذي تكرر على سبيل التحذير في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾(الأعراف:27). إنه تذكير للإنسان بـ"آدميته" ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.

وكل ما عبر فيه بوصف الـ"آدمية" والنسبة إلى الأب الأول، ملحق بهذا المعنى، ولو جاء في سياق التكليف الجزئي، فإنه يحمل في داخله التنبيه إلى خاصية النسيان، وضعف العزيمة، والتحذير منها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الأعراف:35). إنه تعبير يحمل في دلالته ذلك الإيحاء الأول بالتذكير بالعهد؛ أن تخرمه العزائم الضعيفة، والتنبيه من الغفلة والنسيان أن تحاصره الآدمية.

وقد تحيل عبارة "ابن آدم" على معنى "الإنسان" من حيث هو مخلوق على جبلة طينية شرهة، وقد أسلفنا أنّ بين العبارتين اشتراكا. وعلى هذا المجرى جرى كثير من الأحاديث النبوية التي تضمنت هذا التعبير "ابن آدم". وذلك نحو قوله ﷺ : «لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانيا! ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا! ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب! ويتوب الله على من تاب»(متفق عليه). وقوله ﷺ : «إن ابن آدم إن أصابه حَرٌّ قال: حَسِّ، وإن أصابه بَرْدٌ قال: حَسِّ»(رواه الإمام أحمد في المسند) وعبارة "حَسِّ" اسم فعل مضارع بمعنى: "أتضجّر".

وهذان الحديثان إنما هما ترجمة لما ورد في القرآن عن "الإنسان" في مثل قوله تعالى عن المعنى الأول: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ × وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ × وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(العاديات:6- 8)(1).

التوصيف بالعبودية

ويتفرد النداء الإلهي والتعبير القرآني بوصف الناس بـ"العباد"؛ للدلالة على الرضى والحب والإشفاق وكل المعاني الراجعة إلى صفات الله الرحمن الرحيم الودود الغفور؛ وذلك لما للإنسان بوصفه "عبدا" عند الله من مقام وقرب. وإنما العبد: من انقاد قلبه لربه رغبا ورهبا، وخضعت جوارحه لمولاه طاعة وحبا. وتلك هي الصفة التي جاء الدين لإسباغها على الإنسان؛ فيرقيه إلى أعلى منازل العبودية. وذلك أساس مقتضى شهادة "لا إله إلا الله". فكأن الدين كل الدين إنما هو إعطاء صفة "عبد" لهذا المخلوق (الإنسان)، أو كما قال الشاطبي رحمه الله عن وظيفة الدين المقاصدية، إنما هي "إخراج المكلف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا"(2).

ثم إن وصف "عبد" أو "عباد"، ولو ورد مجردا عن الإضافة، لا معنى له إلا بتقدير الإضافة. وهي النسبة إلى الله سبحانه؛ أي "عبد الله" و "عباد الله". وقد تأتي العبارة صريحة النسبة والإضافة إلى الله، وهذا فرق جوهري هام جدا، في إطلاق ألفاظ: "الإنسان"، و"ابن آدم"، و"عبد الله"؛ إذ ينسب في الأول إلى أصله الخلقي الجبلي، وينسب في الثاني إلى أبيه، وما تحمله هذه النسبة من دلالة على طبيعة "آدم"، بينما يتفرد التعبير الأخير بنسبته إلى "الله"، وكفى بذلك شرفا ورفعة وجمالا.

يتفرد النداء الإلهي والتعبير القرآني بوصف الناس بـ"العباد"؛ للدلالة على الرضى والحب والإشفاق وكل المعاني الراجعة إلى صفات الله الرحمن الرحيم الودود الغفور؛ وذلك لما للإنسان بوصفه "عبدا" عند الله من مقام وقرب. وإنما العبد: من انقاد قلبه لربه رغبا ورهبا، وخضعت جوارحه لمولاه طاعة وحبا. وتلك هي الصفة التي جاء الدين لإسباغها على الإنسان؛ فيرقيه إلى أعلى منازل العبودية. وذلك أساس مقتضى شهادة "لا إله إلا الله". فكأن الدين كل الدين إنما هو إعطاء صفة "عبد" لهذا المخلوق (الإنسان)

ولذلك كان وصف "العبودية" في القرآن لا يرد إلا في سياق البشارة والمحبة والرضى الإلهي الكريم. وما لم يكن ظاهره من الآيات كذلك فهو ملحق بهذا الأصل في المعنى؛ لأن الكلية الاستقرائية إذا استقرت "كلية" رجع إليها كل جزئي، ولو بدا أنه شاذ عنها، كما هو مقرر في الأصول(3). وأوضح مثال لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة:186).

إن هذه الآية الكريمة هي عنوان محبة الرب لعباده في القرآن الكريم.. إنها شلال الواردات الخفي، الهامي بالرحمة والمغفرة على قلوب عباده التائبين، الطارقين باب الله، فقراء محتاجين! ولقد التقط الأستاذ سيد قطب رحمه الله منها لطائف من رَوْح الله فقال: "إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه.. لم يقل: "فقل لهم إني قريب".. إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال: قريب! إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين.. ويعيش منها المؤمن في جناب رضي، وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين"(4).

ذلك أن الطريقة الغالبة في السؤال والجواب في القرآن -كما قرره علماء القرآن- أن يجيب الله عز وجل على أسئلة الناس بقوله تعالى لنبيّه محمد ﷺ : ﴿قُلْ﴾؛ إمعانا في ترسيخ نبوته، ورسالته إلى الناس، معلّما ومربّيا ورسولا. وتلك خلاصة "عقيدة الاتباع" في شهادة "أن محمدا رسول الله"، وهو أغلب أسلوب القرآن في هذا الشأن. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة:189)، وقوله عز وجل:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾(البقرة:222) ونحو ذلك كثير جدا(5).

وإنما المهم عندنا هنا أن خلو هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ من لفظ "قُلْ"، يدل على خصوص السؤال الآتي من "العباد"؛ ذلك أنهم هنا يسألون عن "معبودهم" لا عن كيف يعملون في أمور الدين! إذ إن قضايا الشريعة والأحكام هي شأنُ الرسول المُعَلِّم، الذي بُعِثَ ليعلّم الناس كيف يعبدون الله. أما هؤلاء فإنهم الآن يسألون عن الله ذاته سبحانه، لا عن كيف يعبدونه! يسألون عن باب معرفته ورضاه! إنه سؤال محبة وشوق ووجدان؛ فهو مثل ذلك الذي قال الله تعالى فيه، في الحديث القدسي: «ذلك بيني وبين عبدي.. ولعبدي ما سأل!»(رواه مسلم)

إذن فالقضية "عبادة"، والعبادة وجدان، لا تصح إلا إذا خلَتْ من كل شريك، ولو كان نبيّا! والدين إنما هو إخلاص القلب لله وحده. وهؤلاء إنما سألوا عن مثل هذا، فلا موضع لـ "قُلْ" هذه؛ في هذا السياق! فاعبد ربك تجده أمامك بلا واسطة، ولا حجاب يحجبه عن قلبك المحب المشوق! ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.. إنه يجيبك أيها العبدُ الداعي ربَّكَ تضرعا وخفية، وإنما "الدعاء هو العبادة"(6) كما قال النبي ﷺ.. هكذا على سبيل الاستغراق والشمول. ولا عبادة حقة إلا خالصة لله..

---

(1) وانظر: الفجر:20-19؛ المعارج:21-19.
(2) الموافقات للشاطبي، 168/2.
(3) الموافقات للشاطبي، 53/2.
(4) في ظلال القرآن للسيد قطب، 173/1.
(5) وانظر: البقرة:215، 217، 219، 220؛ الأنفال:1؛ الإسراء:85؛ الأحزاب:63.
(6) رواه الإمام أحمد في المسند، وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد.

صفات الشخصية المسلمة (2)

د. إبراهيم بن البو

3- السبيل إلى إعادة تخريج نموذج المدرسة المحمدية:

لاسبيل إلى بناء الشخصية المسلمة المتوازنة المكتملة البناء المتضمنة لكل المواصفات المذكورة إلا باقتفاء أثر النبي ﷺ في ذلك المنهج السديد الذي اتبعه في تربية جيل الصحابة الفريد، ذاك الجيل الذي كان أفراده يعيشون جاهلية جهلاء ومواتا روحيا، فلما سرت فيه روح القرآن وتشبعت أرضه بغيث الرحمان فاهتزت وربت، أصبح خلقا آخر مغايرا تماما لما كان عليه، خلقا غير ما بنفسه فتغير حاله وغير ما حوله إيجابيا فأصبح مضرب المثل في النضج والاكتمال الإنساني.

وما اعتمد الرسول ﷺ في تربيته الفذة لهؤلاء الأفذاذ إلا على الوحي وتعليماته وخاصة تلك الآيات الأولى المبينة للمنهج التربوي الإسلامي وضوابطه وغايته، ومنها :

أ- قوله تعالى في سورة (العلق): ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم﴾(العلق : 1- 5) فبهذه الآيات بدأ الوحي و بها ينبغي البدء في تربية الفرد المسلم، إذ بناء التصور وتصحيحه مقدم على بناء الأعمال والأقوال، وترسيخ الإيمان الصحيح أسبق من توجيه السلوك. لقد وضعت فعلا هذه الآيات "قاعدة التصور الإيماني... كل أمر كل حركة كل خطوة كل عمل باسم الله وعلى اسم الله، باسم الله تبدأ وباسم الله تسير وإلى الله تتجه وإليه تصير، والله هو الذي خلق وهو الذي علم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة، والإنسان يتعلم ما يتعلم ويعلم ما يعلم فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علم"(التفسير التربوي للقرآن، 3/565).

فإذا تحقق المربى من هذه القاعدة الإيمانية الكبرى ارتبط قلبه بخالقه حبا وتوكلا وإنابة وخوفا وشوقا، حتى إذا تم له ذالك سارعت الجوارح إلى السير وفق نهج القلب المحب منتهجة شرع الله الحكيم. فالقلب ملك الجوارح أينما ولى ولت، فإن اهتدى اهتدت وإن ضل ضلت.

ب- قوله عز وجل في أوائل سورة المزمل: ﴿يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا. إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا. إن لك في النهار سبحا طويلا. واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾(المزمل : 1- 9).

فقد تضمنت جملة من العزائم(1) يجب غرسها في المسلم لتكون شخصيته قوية صالحة وفاعلة، ومنها:

× **قيام الليل:** فهو الوسيلة الفعالة لشحن الجوهر بالطاقة الإيمانية وتغذية الروح بالأنوار الربانية والفيوضات الرحمانية، كيف لا والليل هو الفترة المناسبة لتلقي الأسرار الربانية والفتوحات الإلهية خاصة في الثلث الأخير منه حيث ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له؟

× **ترتيل القرآن:** القرآن روح الإنسان التي بين جنبيه، به تحيى وتسعد وبه تتحرك وتنشط، قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا﴾(الشورى : 49)، وبداية الحياة به ترتيله والمداومة على ترتيله، فهي بداية الطريق لمن عرف وأبصر ، وهي الزاد والوقود لمن أيقن وتحقق. ولذلك حث النبي ﷺ على قراءته في العديد من أحاديثه الشريفة، ومنها قوله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(رواه الترمذي).

× **ذكر الله:** وحقيقته استحضار جلال الله وكمال وجمال صفاته وذاته وأفعاله في القلب في كل الأحوال، واستشعار الرهبة من قوته وجبروته والرغبة فيما عنده من جزيل النعم ، حتى إذا تضلع القلب وارتوى من ماء الذكر فاضت سيوله على الجوارح كلها فدبت الحياة فيها، فلا تبرح الألسن عن اللهج بذكر إنعامه ولا تستطيع الأسماع والأبصار ولا الأيدي والأرجل ولا البطون والفروج الانفكاك عن ذكره فلا تنصرف إلا لما يرضيه. فبالذكر يحيى الإنسان قلبا وقالبا.

وإنها لعزائم لو روعيت في أي منظومة تربوية تستهدي بالإسلام لورثت لأفرادها حبا للمتفرد بالإيجاد والإمداد لا ينقطع مهما كانت الظروف ولورثتهم انقيادا اختياريا لشرعه الكامل الشامل لا ينبت مهما تغيرت الأحوال، قال ﷺ فيما رواه عنه صهيب الرومي: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن كله خير)، حتى إذا حقق هذه المنزلة الإيمانية ورث الولاية والمعية الربانية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشي أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»(صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب التواضع).

وخلاصة الأمر أن الشخصية المسلمة المنشودة هي تلك الذات التي أحسنت في تنظيم علاقاتها مع خالقها عبادة ومع نفسها تزكية ومع الآخر معاملة ومع الكون تسخيرا، فأصبح الخير والحق والجمال من سجاياها الفطرية، ولا نجد لها مثلا أصح من المثل الذي ضربه لها رسول الله في بيان صفاتها تلك ، حيث قال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنه : «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم. حدثوني ما هي، فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا يا رسول الله: أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة »(صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء قي العلم).

---

(1): لمعرفة المزيد عن هذه العزائم يمكن الرجوع إلى مقالات الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي والمتعلقة بالهدى المنهاجي في القرآن.

-انتهى-

عندما تؤيد الدراسات العلمية الحقائق الإسلامية

أ. د. جعفر شيخ إدريس

كنت قد قرأت منذ بعض الوقت مقالاً لرجل أمريكي وصف نفسه بأنه ملحد، وأنه مختص بدراسة علم النفس والأنثروبولوجيا، ثم قال كلاماً فحواه أنه وجد أن الإيمان بالله تعالى أمر مشترك بين كل الشعوب وكل الثقافات، وأنه لابد لذلك من أن يكون له أصل في النفس البشرية، لكنه قال؛ إنه ظل مع ذلك مصراً على إلحاده؛ لأنه لم يجد لهذا الإيمان من فائدة!

وفي (16 يونيو 2009م) نشرت جريدة الديلي تلغراف البريطانية مقالاً ذكرت فيه أن الدكتور بارت (ما أظنه ملحداً) أحد الباحثين الكبار بمركز الأنثروبولوجيا والعقل بجامعة أكسفورد ببريطانيا، يقول: إن الأطفال يولدون مؤمنين بالله ولا يكتسبون هذا الإيمان عن طريق التلقين، وسبب إيمانهم أن أدمغتهم صُمّمت بطريقة تجعلهم يؤمنون، ويرى لذلك أنه لو استطاعت قلة منهم أن تعيش في جزيرة منعزلة؛ فإنها ستنشأ مؤمنة بالله.

ويقول: "إن أكثرية الأدلة العلمية في السنوات العشر الأخيرة -تقريباً- أوضحت أن ما هو مبني في التطور الطبيعي للأطفال أكثر بكثير مما كنا نظن".

ونشرت جريدة (سبق) الإلكترونية ملخصاً لهذا الخبر وطلبت من القراء التعليق عليه، فجاءت معظم التعليقات مقللة من أهمية اكتشاف العالم البريطاني، وقائلة له؛ إنك لم تأت بجديد؛ لأن رسولنا ﷺ قد أخبرنا بذلك، واستدلوا على ذلك بالحديث الصحيح الشهير؛ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟".

نعم ! إن الرجل لم يأت بحقيقة لم يكن يعرفها قراء الحديث النبوي الشريف، لكنه - إن صحت نظريته - أتى بجديد في الطريقة التي توصل بها إلى تلك الحقيقة التي قررها الرسول ﷺ، وهذا أمر يسر المؤمن؛ لأن فيه دليلاً على صدق الرسول ﷺ، والمؤمن المصدق بالرسول يسره أن تتضافر الأدلة على صدقه، وصدق الحق الذي جاء به؛ ألم يقل الله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾(فصلت : 53)؟

قال ابن كثير : "أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية... ودلائل في أنفسهم... ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الخالق سبحانه وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة..."

تأمل قوله (بدلائل خارجية) يعني: ليست دلائل نقلية؛ لأن هنالك مصدرين للحقيقة، هما : كلام الله وخلق الله؛ فإذا ما وجدنا في خلق الله ما يؤيد كلام الله الموحى إلى رسول الله زادنا هذا إيماناً؛ لأن الإيمان يزيد بزيادة الأدلة الدالة على صدق الرسول ﷺ، وهذا هو الذي يسمى الآن بالإعجاز العلمي الذي كان سبباً في دخول بعض الناس في الإسلام.

وقصة إبراهيم عليه السلام مع الطير هي من نوع هذه الأدلة الخارجية، قال الله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾(البقرة: 260).

فإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في قدرة الله - تعالى - على إحياء الموتى وإنما كان يريد دليلاً يقوي إيمانه ويطمئن به قلبه، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ إذ قال : رب أرني كيف تحي الموتى. قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي».

قال ابن كثير : "معناه نحن أحق بطلب اليقين"، ونزيد كلام ابن كثير بياناً فنقول: إن معنى الحديث أنه لا يمكن أن يكون إبراهيم قد شك؛ إذ لو كان هو يشك لكنا نحن أيضاً نشك، وفي الآية دليل على أنه لا بأس على المؤمن من أن يبحث عن دليل يقوي به إيمانه.

في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: التقى النبي ﷺ هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ! فقال الرسول ﷺ : أما إنه من أهل النار! فقال رجل من القوم : أنا صاحبه. قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت : أنا لكم به فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه، فقتل نفسه.

تأملوا قول الصحابي : "أشهد أنك رسول الله" ألم يكن يشهد بذلك قبل هذا؟

تتمة: ص12

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله.. ﴾

دور القوى الكبرى في نشأة (إسرائيل) وتوسعها (6)

دور الأنظمة العربية في قيام (إسرائيل) وتوسعها 1

بقلم : **نبيل شبيب**
كاتب فلسطيني مقيم بألمانيا

كان مؤتمر القمة العربية في الرباط عام 1971 نقطة تحول جذرية في تاريخ قضية فلسطين، ويمكن اعتبارها بداية النكبة السياسية التي وصلت بها إلى حضيض منحدر التنازلات الآن، والتي أصبحت بأبعادها ونتائجها أخطر من النكبتين العسكريتين عام 1948 وعام 1967. ففي ذلك المؤتمر كان الإعلان عن تراجع سياسي كبير في تاريخ القضية، وقد وضع - كالمعتاد - في قالب إنجاز ضخم، وهو اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين. فمنذ ذلك الحين بدأ التحول الإعلامي والسياسي العسكري الموجه، من اعتبار القضية قضية العرب جميعا وفق ما صنعت بها "القومية العربية" لتجريدها من جذورها وأبعادها الإسلامية في مرحلة سابقة؛ إلى اعتبارها قضية الفلسطينيين على وجه التخصيص، وبدأ الترويج لمصطلح أزمة "الشرق الأوسط" الذي حول النزاع بين الكيان الصهيوني ومصر إلى نزاع حول سيناء، وبينه وبين سوريا إلى نزاع حول الجولان، وبينه وبين لبنان - لاحقا - إلى نزاع حول الجنوب، وبينه وبين الأردن إلى نزاع حول حدود ومياه.

أما فلسطين نفسها فبدأت مطارق المذابح تنهال على منظمة التحرير الفلسطينية أو على الشعب الفلسطيني بصورة تبرر للمنظمة تحولها من طريق العمل الفدائي إلى السياسي، ومن هدف التحرير إلى هدف التسوية. وإذا بالقضية تصور وكأنها مسألة صفقات انفرادية وجماعية، فكان أشهرها في كامب ديفد وكان أخطرها في أوسلو، كما كان آخرها وأشملها - مبدئيا - ما سمي المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط والشمال الإفريقي في الدار البيضاء.

تحولت القضية المصيرية إلى أزمات، والتاريخ الجليل إلى مساومات، والحقوق المشروعة إلى تنازلات، وبدأ يتردد في كل بلد عربي على حدة - تبريرا لسياسته - أنه قدم "للفلسطينيين" وقضيتهم وآن الأوان أن يلتفت إلى "مصالحه" الذاتية.

وكانت الحصيلة هي النكبة السياسية التي نعايشها بوتيرة متلاحقة لا يكاد يمكن تصديق وقوعها خلال جيل واحد، وبخسارة انفرادية لكل طرف على حدة. وجماعية لسائر الأطراف، بدرجة لا يمكن أن يبقى معها أي مبرر لأي منطق يزعم "السياسة الواقعية" أو خدمة المصالح الذاتية، بل حتى "المصالح الشخصية" المحضة التي تدفع ضعاف النفوس عادة إلى بيع القضايا المصيرية وخيانة العقيدة والأمة والتاريخ والحاضر و المستقبل.

حتى هذه المصالح تبدو حصيلتها أتفه من أن توصف بثمن بخس مقبوض، لا سيما عند المقارنة بين وضع زعيم لا يأمن على نفسه من شعبه ولا من عدوه، وبين وضعه لو كان زعيما حقا لشعبه يحتضنه ويذود عنه وعن البلد تجاه كل عدو.

منطلقات أساسية للتقويم

إن مناقشة "دور أنظمة الحكم في العالم العربي" ولا سيما فيما كان يسمى دول المواجهة أو دول الصمود والتحدي.. في صنع كارثة قيام الكيان الصهيوني باسم دولة (إسرائيل)، ودورها في تطور هذا الكيان ونمائه وما وصل إليه من أهداف على طريق تحقيق أهدافه البعيدة.. هذه المناقشة لا تستقيم في ظل ما صنعته النكبة السياسية الراهنة من ضباب التزوير والتضليل، دون تحديد عدد من العناصر الرئيسية التي ننطلق فيها من جوهر القضية وحقيقة أوضاعها ومن المنطلقات القويمة لخدمتها، وفي مقدمة هذه العناصر:

1- أن الارتباط بين قضية فلسطين وأي بلد عربي -وإسلامي كذلك- لا يقتصر على الجوانب الصادرة عن مقتضيات العقيدة من منطلق إسلامي، أو العروبة من منطلق قومي، أو الحضارة من منطلق فكري، بل هو علاوة على ذلك ارتباط صادر عن مقتضيات السياسة الواقعية بمفهومها المعاصر أيضا، سيان هل انطلقت المقاييس المعتبرة في ذلك من المصالح السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية منفردة أو مجتمعة.. وكل تجزئة جرت وتجري للقضية على المستويات الجغرافية والموضوعية، مرفوضة بميزات السياسة الواقعية التي تفرض الموازنة بين مكاسب وحدة المنطلق والعمل لها، والخسائر الواقعة فعلا والقابلة للوقوع نتيجة النظرة التجزيئية، ومرفوضة أيضا بميزان ما تفرضه عقيدة المسلم ويفرضه الإخلاص على كل من يتطلع إلى الهدف الأصيل دون تزييف، هدف التحرير الشامل الكامل مهما كان منطلقه.

2- أن كل هدف قويم تُبذل من أجله الجهود فيتحقق، وكل خسارة تقع نتيجة خيانة أو تقصير.. يعود بالنفع أو الضرر على سائر الأطراف ولو كان في ظاهره منحصرا في طرف واحد منها، وليس هذا "أمرا جديدا" نذكره ولكنه حقيقة مغيبة عمدا نؤكدها انطلاقا مما شهدته وتشهده ساحة القضية، وهي لا تسري على ما يرتبط بأرض فلسطين وما حولها فقط، بل أصبحت جزءا عضويا مما يسمى السياسة الواقعية المعاصرة، وبمثابة المحور الأساسي في العلاقات الدولية جميعا وبصورة لا تحتاج إلى التوضيح بالأمثلة.

3- وينبني على ذلك أن ما تقدمه مصر أو سوريا أو السعودية أو باكستان أو سواها لفلسطين من خير يعود عليها بالخير، وما صنعته وتصنعه أنظمة حكمها من الضرر تحت عنوان قضية فلسطين يعود عليها هي نفسها وعلى البلدان التي تتصرف بأمورها بالضرر أيضا كذلك فما تشهده ساحة قضية فلسطين بمفهوم الكلمة -الذي بات من المراد تضييقه ومسخه لينحصر في غزة والضفة- من تطور إيجابي أو تطور سلبي ينعكس بدوره على سائر الأطراف الأخرى إيجابا أو سلبا.

4- أن ما شاع مع مسيرة كامب ديفد من أقوال تحت عناوين حروب خاسرة خاضتها دول معينة من أجل قضية فلسطين وآن الأوان لتهتم بنفسها، أو تحت عناوين نفقات وطاقات ضخمة صرفتها من أجل القضية وآن الأوان لتركيزها داخل حدودها، جميع ذلك وأمثاله كان حروبا خاسرة - ولخسارتها أسبابها - خاضتها الدول المعنية من أجل نفسها والقضية المشتركة في آن واحد، ونفقات أنفقتها من أجل نفسها والقضية المشتركة دون فصل ولا تمييز، وكانت خسارة الحروب وهدر النفقات والطاقات نتيجة تخطيط المسؤولين، وكانت النتائج على حساب بلادهم والقضية المشتركة معا.

كل تجزئة جرت وتجري للقضية على المستويات الجغرافية والموضوعية، مرفوضة بميزات السياسة الواقعية التي تفرض الموازنة بين مكاسب وحدة المنطلق والعمل لها، والخسائر الواقعة فعلا والقابلة للوقوع نتيجة النظرة التجزيئية، ومرفوضة أيضا بميزان ما تفرضه عقيدة المسلم ويفرضه الإخلاص على كل من يتطلع إلى الهدف الأصيل دون تزييف، هدف التحرير الشامل الكامل مهما كان منطلقه

وكان من أكبر التناقضات في تاريخ القضية وفيما أصبح متعارفا عليه من المفاهيم السياسية التطبيقية الأولية عالميا؛ أن أولئك المسؤولين بالذات هم من كان ينجو من عواقب ما صنعت أيديهم، فبدلا من أن ينالوا جزاءهم على الفور إذا بهم يبقون على سدة السلطة ويصنعون المزيد من الخسارات ومن هدر الثروات والطاقات، فلا تكاد القضية تنجو من واحد منهم إلا بموته الذي أضحى الطريقة الوحيدة غالبا لتبدل الحاكم، ولكن دون أن يتبدل نظام الحكم نفسه من حيث جوهره ومسيرته الحافلة بصنع النكبات.

5- وبالمقياس نفسه فإن ما صنعه نظام حكم مصر في كامب ديفد، أو ما صنعته زعامة منظمة التحرير الفلسطينية في "كامب" أوسلو، وما تصنعه الأنظمة بصورة مشتركة في مثل مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي، أو ما يسمى المفاوضات المتعددة الأطراف؛ هو من بداية المطاف وحتى خاتمته جرائم انفرادية ومشتركة تعود بأضرارها في الحالتين على القضية المشتركة وعلى سائر الأطراف في وقت واحد، وبدرجات لا تكاد تتفاوت من بلد إلى بلد، أو من جانب من جوانب القضية إلى جانب آخر، إلا تفاوتا ظاهريا لا يستحق الذكر.

ولا تريد الفقرات التالية تناول دور أنظمة الحكم على حدة، ولا أن تركز على الجانب التاريخي إلا بمقدار ما له صلة بالواقع الراهن، كما أنها تستهدف وضع دراسة عن ذلك بمفهوم البحث العلمي، لا سيما وأن أصل الموضوع المطروح موضع دراسات ووثائق منشورة ومتداولة تمثل مختلف وجهات النظر، وليس ما ينقصنا المزيد قطعا، قدر ما ينقصنا الربط بين ما أصبح "معلوما بالضرورة" وبين ما نعاصر في الوقت الحاضر لاستيعابه واستشراف ما ينبغي صنعه، للتعامل معه تعاملا واقعيا منتجا وهادفا لتثبيت المسيرة بالقضية على منطلقها الإسلامي الأصيل، ونحو تحقيق الأهداف التاريخية المشروعة القائمة على الحق والعدالة، وكذلك ما يقرره القانون الدولي دون تزييف ما ينبثق عنه من "شرعية دولية" وهذا ما يدفع إلى محاولة عرض ما صنعته أنظمة الحكم بالقضية في صيغة خيوط تربط بين مسؤوليتها الآن وهي تسير بالقضية على طريق النكبة السياسية الراهنة ونتائجها المستقبلية الخطيرة الوخيمة، وذلك على محورين أساسيين: سياسي وعسكري.

في الحلقة القادمة سنتناول بحول الله تعالى موضوع : صناعة النكبة السياسية الذي نركز فيه على محور : جذور الانحراف.

أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية (*)

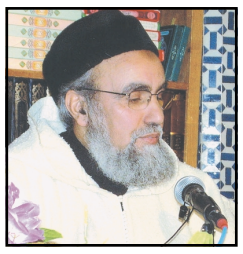

د. الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا﴾.

أيها المهتمون بالدراسات الإسلامية ولاسيما القرآنية، نحمد الله تعالى أن يسر هذا اللقاء لنا في هذه الندوة المباركة، وأن وفق هذه الجمعية وهذه الجهات المنظمة إلى هذا الموضوع المهم، فأن ننشغل أساسا بالأولويات، هذا في حد ذاته رشد منهجي، حين نفكر في أن تكون هناك ندوة موضوعها الأولويات مطلقا، في البحث العلمي أو في غير البحث العلمي، حين نفكر هذا التفكير، نكون بإذن الله عز وجل داخلين ضمن الراشدين منهجيا.

هذه الكلمة التي هي عبارة عن رؤوس أقلام، ستدور على النقط الآتية:

أولا: مقدمة في أهمية العمل بالأولويات:

1- الدين كله نظام من الأولويات:

إذا نظرنا إلى الدين نظرة أفقية، وقد تم تنزله، بعد أن قال الله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ إذا نظرنا إليه في هذه الصورة التامة الكاملة نجده عبارة عن نظام من الأولويات.

وإذا نظرنا إليه في الصورة المنهاجية، أي في كيفية إحلال الله عز وجل له في الأرض، في التجربة الأولى، زمن رسول الله ﷺ، نجده أيضا نظاما من الأولويات.

وإذا نظرنا إليه اليوم، ونحن نحاول تنزيله على الواقع أيضا نجده كذلك نظاما من الأولويات.

وحسبنا أن نشير إشارة فقط إلى حديث جبريل عليه السلام المشهور.حين ذكر رسول الله ﷺ الإسلام أولا، ثم الإيمان ثانيا، ثم الإحسان ثالثا.وحين ذكر ما بداخل الإسلام، فذكر الأركان الخمسة: أولا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج.وحين ذكر ما ذكر أيضا في أمر الإيمان وأمر الإحسان.

كل ذلك على نظام الأولويات.

2- أن العمل بالأولويات رشد منهجي:

أي إن الشخص الذي يروض نفسه ويحملها على أن تتعود هذا الضرب من السلوك، وهو أن تسير وفق نظام الأولويات، فيه الثابت وفيه المتغير، إذا حمل الشخص نفسه على هذا ووطَّن نفسه عليه، فإنه يكون راشدا منهجيا.

3- شروط تحديد الأولويات:

ويمكن اختصارها في الفقه بأنواعه الثلاثة:

فقه الدين في كلياته ونظام أولوياته أفقيا وعموديا.

وفقه الواقع في القوى المكونة له، والبنية التي لهذه القوى التي تتدافع فيه، والتوجهات الكبرى التي تتجه إليها في تدافعها فيه، وهي تستشرف المستقبل.

فقه التنزيل في علاقته بالمنزل عليه، فردا أو جماعة أو حالا أو عملا أو أي شيء.

إذا فُقه هذا أمكن تحديد الأولويات بدقة، وهذا الفقه بأنواعه الثلاثة شرط صحة في تحديد الأولويات.

ثانيا: تحديد مفاهيم ألفاظ العنوان:

1- مفهوم "الأولويات":

واضح أنه جمع لأولوية، والأولوية مصدر صناعي من الأولى، وهو الذي يقدم على غيره لسبب من الأسباب. والأولويات هي تلك الأمور التي يجب أن تقدم على غيرها لخصائص فيها، بعد إمعان النظر فيها، انطلاقا من فقه الدين، وفقه الواقع، وفقه التنزيل.

2- مفهوم "البحث العلمي":

البحث بحث؛ فيه كشف، وفيه جهد يبذل لكشف خبء، هذا الأصل في البحث ووُصِفَ بالعلْمية لأنه مقدمات وطرائق ونتائج كلها موزونة بميزان العلم

إذا نظرنا إلى الدين نظرة أفقية، وقد تم تنزله، بعد أن قال الله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ إذا نظرنا إليه في هذه الصورة التامة الكاملة نجده عبارة عن نظام من الأولويات.
وإذا نظرنا إليه في الصورة المنهاجية، أي في كيفية إحلال الله عز وجل له في الأرض، في التجربة الأولى، زمن رسول الله ﷺ، نجده أيضا نظاما من الأولويات.
وإذا نظرنا إليه اليوم، ونحن نحاول تنزيله على الواقع أيضا نجده كذلك نظاما من الأولويات.

فالبحث العلمي إذن هو ذلك الدرس المنهجي المؤسس على صحة المنطلقات وصحة المقدمات وصحة الطريقة بهدف الوصول إلى نتائج صحيحة.

إذا لم يكن هناك كشف في البحث عن خبء، فليس بحثا، وإذا لم يكن هناك كشف بطريقة علمية منهجية فليس بحثا علميا.

3- مفهوم "الدراسات القرآنية":

وهي كل الدراسات التي جعلت موضوعا لها القرآن الكريم وعلومه وما يتصل بذلك، فكل تلك الدراسات هي من الدراسات القرآنية.

ثالثا: أولوية المصطلح القرآني:

والأولوية الأولى في نظري هي أولوية المصطلح القرآني:

1- ماذا أقصد بالمصطلح القرآني؟

إنه ذلك اللفظ الذي أكسبه استعماله في القرآن الكريم دلالة خاصة زائدة على الدلالة التي له في اللسان العربي، فصار بذلك له مفهوم خاص ضمن الرؤية القرآنية الشاملة، وصار بذلك التعبير عن ذلك المفهوم مصطلحا من المصطلحات القرآنية.

وهذا الكلام مؤسس على:

أ- أن المصطلح ليس ضرورة أن يتفق عليه ناس، كما هو سائد في تعريف المصطلح. إذ يمكن أن يكون هناك مصطلح يأتي من جهة ما جاهز الاصطلاحية.

ب- أنه في تاريخنا، وعبر نصوص كثيرة، وفي واقعنا وواقع غيرنا أيضا، يوجد هذا الاستعمال للمصطلح؛ إذ يوجد كثيرا مثل قولهم (هذه اللفظة في اصطلاح فلان).

ج- أن كل المذاهب والتيارات، عندنا وعند غيرنا، تأسست على نصوص بعينها، استعمل أصحابها فيها ألفاظا بعينها، صارت بعد، لاستعمالهم إياها بمفاهيم معينة، داخل الرؤية العامة التي قدموها للناس، صارت لها دلالات خاصة، أي مفاهيم خاصة، تبناها من جاء بعد واستعملها، فهي في الحقيقة لم تصر مصطلحات بسبب الاستعمال الذي طرأ بعدُ -وإن كان ذلك أكد اصطلاحيتها- ولكن صارت مصطلحات لذلك التخصيص المفهومي الذي كان لها من قبل المؤسس.

وهذا كثير، وفي كل التيارات والمذاهب...

2- لماذا صار المصطلح القرآني أولوية؟

الأمر بسيط جدا؛ لأننا نحن الآن لا نفقه قرآننا، ولا نفقه ديننا، وهذا عليه أمثلة كثيرة لدى النخبة ولدى العامة، أو بتعبير القدماء لدى الخاصة والعامة؛ لقد بعدنا جدا عن كتاب ربنا، بعدنا على المستوى الفهمي، وبعدنا على المستوى العملي، وهو نتيجة لمستوى الفهم، ومن ثم بعدنا على مستوى الأحوال، نتيجة بعدنا على مستوى الأعمال.

فلذلك وجب تجديد الفهم، من أجل تجديد العمل، من أجل تحسين الحال بصفة عامة. نحن نحتاج إلى الدخول من باب الدخول (وإنما تؤتى البيوت من أبوابها) فقبل أن ندخل إلى الجملة القرآنية، يجب أن نفتح باب الألفاظ القرآنية، إذ الجملة مكونة من ألفاظ، وليس المقصود الآن الألفاظ التي تكون في النص العادي، ولكن المقصود الألفاظ المصطلحات التي تعبر عن مفاهيم، والتي بها يتم الدخول إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم.

هناك نسق مفهومي لهذا الدين، كامن في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله ﷺ التي تبينه. هو كامن يحتاج إلى تجلية جزئية وكلية. هذا الأمر إذا لم يتم على وجهه الصحيح، لم تتضح الصورة على وجهها الصحيح.

وقد تعرض المصطلح القرآني خلال أربعة عشر قرنا لاعتداءات متعددة، بأشكال مختلفة؛ صغرته، أو حرفته عن موضعه، أو عن مفهومه، أو جاءت ببدل عنه نهائيا وأهملته. وقد كان هذا موضوعا لعرض خاص، قدم في جامعة الإمارات العربية المتحدة تحت عنوان: "نحن والمصطلح القرآني". وذلك لبيان ماذا فعلنا، عبر تاريخنا وفي واقعنا، بالمصطلح القرآني.

3- كيف ندرس المصطلح القرآني ؟

الأمر بسيط أيضا لأنه مسطر في كتيب صغير "القرآن الكريم والدراسة المصطلحية" وخلاصته أن الدراسة المصطلحية مدارها على خمسة أركان: الإحصاء أولا للفظ، ثم بعد ذلك الدراسة المعجمية له، ثم بعد ذلك الدراسة النصية له، ثم بعد ذلك الدراسة المفهومية له، ثم بعد ذلك العرض المصطلحي ببيان تعريفه، وبيان صفاته بأنواعها، وبيان علاقاته بأنواعها، وبيان ضمائمه بأنواعها، وبيان مشتقاته بأنواعها. وأخيرا بالدخول إلى عالم قضاياه بأبعادها.

هذا الأمر في حد ذاته، يحتاج إلى كلام طويل عريض، ويكفي أن أقول: إن معهد الدراسات المصطلحية قد خصص لكل ركن من تلك الأركان دورة تدريبية كاملة، فيها أشياء متعددة وأمور كثيرة.

رابعا: أولوية الهدى المنهاجي:

الأولوية الثانية هي أولوية الهدى المنهاجي.

1- ماذا أقصد بالهدى المنهاجي ؟

أقصد بالتحديد ما جعله الله عز وجل طلبا في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وهو الطلب الوحيد الإجباري الذي للمؤمن في حياته كلها، في جميع صلواته؛ ذلك بأن الفاتحة، كما تعلمون، مؤسسة على هذا الدعاء؛ ما قبل ﴿اهدنا﴾ مؤسِّس له، وما بعد ﴿اهدنا﴾ مفصِّل له، وليس في الفاتحة دعاء إلا ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ما قبلها يؤسس لأدب الدعاء، وما بعدها يفصل في هذا الدعاء. وليس في الكتاب بعد إلا "الهدى" قال تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ وقال أيضا ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ وقال جل جلاله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.. إلى غير ذلك من الآيات.

فلذلك أقول: إني أقصد بالهدى المنهاجي تلك الطريقة المثلى التي تستفاد من القرآن الكريم للتفكير والتعبير والتدبير الفردي والجماعي في مختلف الأحوال، هذا ما أقصد بالهدى المنهاجي.

2- لماذا الهدى المنهاجي ؟

لأننا بصدد الاستئناف الآن، والعودة من جديد، إن شاء الله تعالى إلى التاريخ، عائدون، عائدون،... سنعود من جديد، وستعود الأمة من جديد، «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ»(رواه

تتمة: ألويات البحث...

مسلم). هذه العودة لابد من تسريعها للتعجيل بتخليص العالم، ولا يمكن تسريعها إلا بالاهتداء في الأمر كله للتي هي أقوم. ولذلك لابد من اكتشاف واستخلاص واستخراج الهدى المنهاجي من باطن الوحي ليستبين السبيل، وليستقيم ويرشد السير.

3- كيف نستنبط الهدى المنهاجي؟

لا سبيل إلى ذلك بغير الدرس والتدارس للقرآن الكريم:

أما الدرس فهو الصورة الفردية النافعة لصحبة القرآن، ولن تكون ربانيا على الحقيقة بغير الدرس للقرآن ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾(آل عمران : 79) ولكن الدرس وحده لا يفضي إلى كل النتائج المرجوة من صحبة القرآن.

وأما التدارس فهو الصورة الجماعية المثلى لصحبة القرآن، كما جاء في الحديث الصحيح المشهور الذي تعرفون «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»(رواه مسلم).

هذا الترقي في مقامات الفهم ومقامات العلم بالكتاب يبدأ بالتلاوة والتدارس فتنزل السكينة، وإذا أنزلت السكينة ازداد الإيمان ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾(الفتح : 4) ثم يكون غشيان الرحمة، وإذا غشيت الرحمة أذهبت الاختلاف وجاءت بالائتلاف ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾(هود : 118- 119) ثم يكون حفوف الملائكة، وإذا ترقى الأمر إلى درجة حفوف الملائكة وإحاطتهم بالمتدارسين أدت المصاحبة للملائكة إلى التخلق بأخلاق الملائكة "والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" رواه أبو داود والترمذي. والدرجة الرابعة: ذكر الله ﴿ولذكر الله أكبر﴾؛ أن يتأهل العبد نتيجة عروجه في هذه المقامات إلى حال أن يُذكر في الملإ الأعلى عند الله تعالى، كما ذكر الأنبياء قبل عليهم الصلاة والسلام.

هذا التدارس إذن هو أسرع طريق لاستخلاص هذا الهدى واستنباطه، وهو الشرط الذي يشير إلى الجهد الجماعي المشترك الذي لا تحصل تلك النتائج كلها إلا بوجوده.

خامسا: أولوية الإعجاز العلمي :

الأولوية الثالثة هي أولوية الإعجاز العلمي.

1- ماذا أقصد بالإعجاز العلمي؟

أقصد بالإعجاز العلمي ما يكتشفه بعض العلماء في القرآن الكريم مما يستحيل أن يصدر عن غير الله إبان نزول القرآن الكريم، وأقول "اكتشاف" لأن أمر الإعجاز ليس أمرا استنباطيا ولكنه أمر اكتشافي، إذ هو موجود في الكتاب.

فأي صاحب تخصص علمي اكتشف شيئا، أو أمرا من كتاب الله عز وجل، تبين له بحكم تخصصه أن هذا الأمر الذي تحدث عنه الكتاب إبان نزوله يستحيل أن يكون من بشر، فقد اكتشف إعجازا علميا، أي أمرا يعجز غير الله أن يصدر منه.

ولا أقصد بالعلم هنا المفهوم المعاصر المقصور على مجال العلوم المادية كما هو شائع اليوم. كلا ثم كلا، إنما هو العلم بمفهومه الواسع الذي يبتدئ من الوحي أصلا ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ ثم العلوم الشرعية بكاملها المستنبطة من الوحي، ثم العلوم الإنسانية بصفة عامة، ثم العلوم المادية.

فصاحب العلوم الشرعية يكتشف الإعجاز التشريعي إذا تضلع في مجاله وفي تخصصه، وغيره يكتشف غير ذلك. وكذلك صاحب العلوم الإنسانية وصاحب العلوم المادية.

فالإعجاز العلمي الذي أقصده عام، والعلمية فيه عامة، وليس كما يستعمل اليوم في الإعلام وغير الإعلام.

2- لماذا صار الإعجاز العلمي أولوية؟

ذلك لرد الناس إلى الله تعالى بأسرع طريق؛ لأنهم حين يتبين لهم بوضوح أن هذا الأمر أو ذاك مستحيل أن يقوله محمد ﷺ ولا العرب. بل لا هو، ولا هم ولا غيرهم من الأمم، إذاك يقتنعون أن هذا القرآن ليس من عند غير الله.

فمثلا حين وقف بعض علماء الأجنة عند قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(المومنون : 12) تعجب من إشارة القرآن الكريم إلى هذه المرحلة العَظْمية التي يمر بها الجنين فلا يبقى فيه إلا النسيج العظمي في الصورة الغضروفية أولا، ثم بعد ذلك تكسى تلك العظام بأنسجة لحمية، ثم ينفخ في الجنين بعد الروح، فيصير خلقا آخر.

وبما أن علم تشريح الأجنة بكامله لم يظهر إلا منذ نحو قرن تقريبا، ولم يكتشف هذه الحقيقة إلا حديثا، فمن أخبر محمدا أو من أخبر غيره من بقية الأمم بشيء من هذا؟

هذا الاكتشاف هو اكتشاف لإعجاز علمي في القرآن الكريم، يثبت أن هذا القرآن ليس إلا من عند الله تعالى.

3- كيف نكتشف الإعجاز العلمي؟

لابد أولا من التفوق في التخصص، إذ القوة في التخصص، أي تخصص، في أي علم من العلوم تفضي بصاحبها إلى اكتشاف المجهول.

ثم أيضا التفوق في تذوق القرآن بما يستلزم ذلك من إتقان للغة العربية، ومن علوم الآلة بصفة عامة. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم بعد ذلك وقبل ذلك اليقين، لأنه إذا حضر التفوق في التخصص، والتفوق في التذوق، ولم يحضر اليقين، أي الإيمان بما في هذا القرآن إلى درجة اليقين، فإنه لا يحصل الاهتداء ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولائك ينادون من مكان بعيد﴾(فصلت : 44).

سادسا: أولوية إعداد النصوص :

الأولوية الرابعة هي أولوية إعداد النصوص

1- ماذا أقصد بإعداد النصوص؟

المقصود بإعداد النصوص في هذه الإشارات، هو تصييرها صالحة للاعتماد العلمي، ولا يكون ذلك إلا بالتوثيق، والتحقيق، والتكشيف.

2- لماذا يجب إعداد النصوص؟

لماذا لابد من إعداد النصوص: نصوص الدراسات القرآنية؟ ذلك لتحقيق شرط العلمية في المادة الخام، ولاستكمال الشخصية النصية للتخصص، فتحضر المادة كلها لتعم الأحكام، وتحضر موثقة محققة لتصح الأحكام، وتحضر مكشفة ليسهل جمع ما تفرق من المادة الخام.

3- كيف تعد النصوص للدراسة؟

المراحل ثلاث:

مرحلة توثيق النسبة أي توثيق نسبة النص إلى صاحبه.

ثم مرحلة توثيق المتن وهو ما يسمى بالتحقيق عادة، لأنا نريد أن نستوثق من أن هذا النص لفلان. وإلا فجميع النتائج ستفسد؛ سنحكم على عصر ما، حكما غير صحيح، أو على شخصية ما أو اتجاه أو تيار... ثم ينبغي أن نستوثق من أن هذا النص هو أقرب شيء للنص الذي خرج من قلم صاحبه إن لم يكن يطابقه.

ثم في مرحلة ثالثة ينبغي أن يخضع هذا النص لعملية تكشيف في مستوياتها الأربعة:

تكشيف أسماء الأعيان، وتكشيف الموضوعات، وتكشيف النقول، وتكشيف المصطلحات. وفي ذلك فوائد يطول الكلام فيها.

لا أقصد بالعلم هنا المفهوم المعاصر المقصور على مجال العلوم المادية كما هو شائع اليوم. كلا ثم كلا، إنما هو العلم بمفهومه الواسع الذي يبتدئ من الوحي أصلا ﴿ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ ثم العلوم الشرعية بكاملها المستنبطة من الوحي، ثم العلوم الإنسانية بصفة عامة، ثم العلوم المادية

سابعا: أولوية تكميل أصول البيان :

الأولوية الخامسة هي أولوية تكميل أصول البيان.

1- ما المقصود بأصول البيان؟

أقصد بأصول البيان ما تعرفونه من أصول التفسير، وأزعم أن لفظة البيان هي اللفظة الأنسب للمراد ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه﴾(القيامة : 18) وهي اللفظة التي ترددت في القرآن كثيرا. أما التفسير فلم يرد إلا مرة واحدة، وفي سياق بعينه لا صلة له بهذا الموضوع.

2- لماذا أصول البيان؟

السبب هو أن هذا الأمر لَمّا يُحْسَمْ فيه، ولما يجمع حتى الساعة وينظم في صورة نظرية متكاملة لفهم القرآن حق الفهم. لقد خُدم الحديث؛ حديث رسول الله ﷺ، وخدم النحو، وخدمت البلاغة حتى قالوا إنها علوم نضجت واحترقت، وما زال الباب مفتوحا على مصراعيه في مجال أصول البيان وإني بحمد الله تعالى لعلى علم بما هو كائن.

فلماذا نكمل أصول البيان إذن؟ ذلك لأجل نقصانها في الواقع، ولضرورتها للاستنباط الصحيح.

3- كيف نكمل أصول البيان؟

لابد أن نجمع المتفرق، وهو في مقدمات التفاسير، وفي بواطن كتب التفسير، وفي كتب علوم القرآن بأشكالها وألوانها، وفي كتب الأصول، وفي كتب اللغة، وفي غير ذلك. هو مفرق في عدد من العلوم. والقواعد الأصولية كثير منها أصول تفسيرية أي أصول بيانية.

ثم بعد ذلك لابد أن نُخَلِّص الملتبس ولابد أن نضيف الناقص.

وعلى سبيل المثال: فقد بقي جهد مدرستين خارج الإطار: جهد مدرسة المقاصد، وجهد المدرسة الاجتماعية المعاصرة. فجهودهما مشتتة لما تجمع لتلتحق بالضوابط العامة.

ثم من بعد ذلك لابد من عمليات للتمحيص، والتقعيد، والتصنيف قبل أن تصاغ كل النتائج في صورة نظرية شاملة كاملة.

ثامنا: خاتمة فيما قبل الأولويات

أولا: تكوين الأطر العلمية القوية الأمينة، المؤهلة:

وهذا أمر فيه كلام طويل عريض، لابد أن نحرص على أن ندفع بالمعادن الممتازة إلى مجال العلوم الشرعية، لأن "التصفية" بلغة اليوم، تتم في التاسعة، أي في نهاية مرحلة الإعدادي، هناك "يصفى" العلم الشرعي "التصفية الجسدية". أي إن خيرة العقول يُذْهب بها إلى اختصاص الرياضيات أو يذهب بها إلى العلوم التجريبية، وما يبقى يعطى للعلوم الأدبية وما يلحق بها من علوم شرعية على قاعدة ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾(النحل : 62).

فتكوين الأطر القوية الأمينة إذن لابد منه، وهو يبدأ باختيار المعادن الكريمة وتأهيلها التأهيل العالي. لابد من تحررنا من ضغط الخبز ومن ضغط غير الخبز، لابد من تحررنا من كل الضغوط لنستطيع أن نأتي بما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

ثانيا: اعتمادا العلمية والمنهجية والتكاملية في البحث:

العلمية بشروطها التي أشير إليها قبل، بأن نلتزم بصحة المقدمات، وصحة الطريقة، وصحة النتائج، وتبعا لذلك، نهيئ ما يلزم لذلك.

والمنهجية تتجلى في أنك تسير بطريقة معينة انطلاقا من الجزئيات لتركيب الكليات، وترسم الطريق عبر مراحل يفضي بعضها إلى بعض.

والتكاملية تعني التنسيق في العمل والتكامل فيه؛ فإذا اشتغل هذا مثلا بالأذن، فينبغي أن يشتغل الآخر بالعين، والآخر باليد، والآخر بالرجل، وهكذا. نحن بحاجة إلى التكامل في البحث. وإن هذه النقطة فيها نقص كبير، وفيها كوارث، ليس بأخطرها التكرار الكثير في البحوث الذي يقع حتى في الكلية الواحدة، أو الشعبة الواحدة.

وأخيرا استصحاب الرؤية الشاملة في المسألة العلمية بمعنى أن لا ننظر إلى موضوعنا مجردا عن غيره، أو إلى المكان الذي نبحث فيه مجردا عن غيره وهكذا... وهكذا... وبالله التوفيق.

(*) هذا المقال عبارة عن عرض شفوي ألقي في ندوة أولويات البحث في الدراسات الإسلامية التي نظمتها جمعية خريجي الدراسات الإسلامية العليا بكلية الآداب بالرباط بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي يومي 21- 2004/9/22.

ملامح عن منهاج طالب العلم 2/1

ذ. سعيد بوعصاب
أستاذ بمعاهد التعليم العتيق طنجة

تمهيد :

الذي ينظر في القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله ﷺ يقف على الكثير من النصوص التي تحث على طلب العلم وترغب فيه بمختلف الأساليب والطرق، تارة في بيان ضرورته، ومرة في وجوبه وفرض تعلمه، وأخرى في بيان مكانته ومنزلته، إلى غير ذلك من المسائل التي لها صلة بالعلم، إلا أن هذا العلم لا يمكن تحصيله والانتفاع به إلا بالالتزام بمنهج خاص وطرق محددة، من خلالها تتحقق فائدته، ويحصل مطلوبه، وهذه نظرات عجلى جمعتها لنفسي ولإخواني من طلبة العلم، قد ترشدنا إلى معالم المنهج السديد الذي يجدر بطالب العلم أن يسلكه لعل الله تعالى يحقق له رغبته، ويلبي له مطلوبه، فيحشره في زمرة العلماء الذين رفع الله تعالى قدرهم , وأعلى مكانتهم، وقد قسمت القول في بيان هذا المنهج إلى قسمين اثنين منهج عام، ومنهج خاص، فإليك القول في بيان مفردات المنهج العام.

أولا : في الملامح العامة

1- الإخلاص لله تعالى :

هذا الركن هو الأساس في عملية العلم والتعليم، وعليه يقوم بناء العلم، فإن سلم هذا الأساس سلم البناء كله، وإن انعدم انهدم البناء كله، والمقصود بهذا الركن أن طالب العلم عليه أن يصحح نيته، ويخلص في قصده وطلبه، فلا يريد بعلمه إلا وجه الله تعالى، وذلك لأن طلب العلم عبادة،بل هو من أشرف العبادات ومن أجل ما يتقرب به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى،ومعلوم لكل من كان له عقل أن العبادة لا تقبل من صاحبها إلا إذا لبست لبوس الإخلاص،وأن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا له وابتغي به وجهه.

وفي هذا السياق وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ تحذر طالب العلم من أن يجعل علمه وسيلة لتحقيق أغراض غير صحيحة، منها قوله ﷺ : «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لم يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»، رواه أبو داود وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

ومما يلحق بهذا الباب ويدخل في هذا المسلك أن على طالب العلم أن يحذر ويتجنب الصفات التي تناقض الإخلاص، وذلك كالعجب، والافتخار، والتعالي على الناس، وحب التصدر فيهم والزعامة، والرياسة، والمخاصمة والجدال بغير حق، وغير ذلك من الصفات السيئة التي تتنافى مع مفهوم الإخلاص، وتذهب بالأجر والمثوبة، وتحرم الطالب من بركة العلم وفائدته.

2- احترام الأساتذة وتوقيرهم :

إن المعلم مع تلميذه هو بمنزلة الأب مع ولده، بل قال يحيى بن معاذ رحمه الله : "العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم". قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : "لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة"(1).

فالواجب على طالب العلم أن يحترم أستاذه، بل عليه أن يبالغ في ذلك وذلك لما للمعلم من فضل كبير، وأثر عظيم على طالب العلم، فهو الذي يأخذ بيده في متاهات الحياة، وهو الذي يخرجه من الظلمات إلى النور، يسدده بالحكمة، ويهديه إلى الحق بالتي هي أحسن، ويرشده إلى الفضيلة، ويحجزه عن الرذيلة، ويحرص على فهمه، ويتحمل نقصه وجهله، ويمنحه عصارة تجربته، فيسدد قوله، ويطهر نفسه، ويزكي روحه، وخليق بمن بذل هذا الجهد أن ينال كل تقدير ووفاء وإكبار، بل إني أقول : إن المعلم والأستاذ في هذا الوقت له من الحق والإجلال أكثر ما كان في العصور السابقة وذلك لسببين :

الأول "أن طلبة العلم قديما هم من كان يرحل إلى العلماء من بلد إلى بلد، ومن قارة إلى قارة، بينما نرى نحن اليوم أن الأستاذ هو الذي يتحمل عناء السفر من مدينة إلى مدينة، ومن جهة إلى جهة ليأتي طالب العلم وهو في مقره.

الثاني : أن المجتمع اليوم أغفل العلم وتغاضى عنه وتوجه الناس إلى تعظيم المادة، فأقبلوا على أصحاب الأموال، وتركوا العلماء، ولقد أثر عن السلف الصالح رضي الله عنهم آثار هي غاية في الروعة في باب تعظيم العلماء، فقد ورد أن زيد بن ثابت رضي الله عنه : صلى على جنازة فلما أتم صلاته أخذ ابن عباس بركاب ناقته، فقال له زيد بن ثابت : ما هذا يا ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل مع العلماء.

والخلاصة أن على المتعلم أن يراعي مع معلمه ما يلي :

أ- التواضع له وعدم الاستنكاف عن التعلم منه، حتى ولو كان صغير السن، فإن من الأمثلة المشهورة على ألسنة العلماء قولهم : لا ينبل الرجل حتى يأخذ عمن هو فوقه، وعمن هو مثله وعمن هو دونه، وقد قرأنا في علوم الحديث : الحديث المدبج ورواية الأكابر عن الأصاغر.

ولا يفوتني أن أحذر بعض طلبة العلم الذين يأنسون من أنفسهم القدرة على فهم بعض المسائل البسيطة، فتسول لهم أنفسهم أنهم قد غدوا من العلم بمكان، فيدفعهم ذلك إلى احتقار المعلم، والتعالي عليه، والحط من شأنه، والتنفير منه، والزراية به، فهذا كله من علامة الشقاء والخذلان، والعياذ بالله تعالى.

ب- القيام بخدمته وتدبير شؤونه، وخصوصا إذا كان كبير السن، وقد ورد عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا،أي يعرف له حقه، رواه أحمد بإسناد حسن.

ج- ذكره بالخير والثناء عليه بما فيه من محاسن.

فإن الذي يطالع كتب التراجم، والفهارس، والمشيخات يقف على العبارات اللطيفة، والثناء العطر من العلماء الثقات، يجلون بها شيوخهم وأساتذتهم، مثل قولهم : الإمام، الحجة، الثقة، الثبت، محدث الدنيا، فريد عصره،.. وغير ذلك من العبارات التي تنم عن الأدب الجم، والاعتراف لهم بالفضل، إذ لا يعرف قيمة ذوي الفضل إلا صاحب الفضل.

ولقد ورد عن الإمام مسلم رحمه الله أنه سأل يوما شيخه أبا عبد الله البخاري عن حديث فأجابه عنه فقال له : دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وطبيب الحديث في علله.

وقال عبد الله بن أحمد لأبيه : يا أبت منذ أربعين سنة وأنا أراك تدعو مع الشافعي؟

فقال : يا بني، لقد كان الشافعي للناس كالشمس للدنيا.

فرحمهم الله ما أعظم أدبهم مع علمائهم.

وهاك وصية جامعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لا بأس أن أسوقها لك هنا لما فيها من فوائد، يقول رضي الله عنه : إن من حق العالم أن لا تكثر عليه في السؤال، ولا تعنه في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفش له سرا، ولا تغتابن أحدا عنده، ولا تطلب عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى، ما دام يحفظ أمر الله، وإن كان له حاجة سبقت القوم إليها(2).

3- بذل الجهد والاجتهاد في التعلم.

العلم منزلة عالية، ومكانة سامية، وقنة بعيدة، ولذا لا يمكن الوصول إليه وبلوغ مراميه بسهولة، ولا تحصيله بأدنى سبب فلا بد فيه من التضحية بالمال، والوقت، والراحة، والأنس بالأهل، وغير ذلك من المتع، ومن الأمثلة المشهورة في هذا الباب قولهم : "من جد وجد، ومن زرع حصد" "من طلب العلى سهر الليالي".

فمن ظن أن تحصيل العلم يكون بالفشل والكسل، واللهو واللعب فقد أخطأ الطريق، وضل عن السبيل، فقد شاءت إرادة الله تعالى وتلك هي سنته - أن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

ولقد ضرب السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أمثلة رائعة في هذا الباب، فقد بذلوا الرخيص والغالي، والنفس والنفيس فسهروا الليالي، وقطعوا الفيافي، وأنفقوا الأموال، وتحملوا شدة الفقر والشظف، والبأساء والضراء، كل ذلك من أجل الحصول على العلم. قال الإمام يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى : لا يستطاع العلم براحة الجسم.

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله في تذكرة الحفاظ قال : قيل للشعبي : من أين لك هذا العلم ؟ قال : بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد وبكور كبكور الغراب(3).

وقال ابن أبي حاتم : كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة نهارنا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا: هو عليل، فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت بعض الشيوخ فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام وكادت تنتن فأكلناها نيئة لم نتفرغ نشويها ثم قال : لا يستطاع العلم براحة الجسم(4).

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أن الإمام البخاري كان يستيقظ في الليلة الواحدة قريبا من عشرين مرة(5).

4- اغتنام الأوقات وعدم تضييعها.

الوقت في حياة طالب العلم هو الربح ورأس المال جميعا، فطالب العلم إذا ضيع وقته فقد خسر حياته، فالسنة لها قيمة، والشهر له مكانة، والساعة لها منزلة، والدقيقة لها شأن، بل الثانية محسوبة، فطالب العلم يحرص على الوقت أشد من حرصه على أي شيء، كيف وقد قال النبي ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ»(رواه البخاري، والترمذي، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما). ومن الأمثال الصحيحة قولهم : "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك". وقولهم : "الواجبات أكثر من الأوقات". وقولهم : "من علامة المقت إضاعة الوقت".

ولقد عرف علماؤنا السابقون للوقت قيمته، وللزمان أهميته ومكانته، فجاشت على ألسنتهم عبارات هي منارات يهتدى بها في دياجير الظلام. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله تعالى يقول : أثقل الساعات علي ساعة آكل فيها.

وروي أن الإمام أبا يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة لازم أبا حنيفة سبعة عشر عاما ما فاتته صلاة الغداة معه، اللهم من مرض، ومات له ابن فتركه للجيران، وحضر درس أبي حنيفة.

وحكى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ عن المحدث الكبير عبيد بن يعيش شيخ البخاري قال : أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث(6).

وصفوة القول : إن طالب العلم يجب أن يصرف وقته فيما ينفع ولابد في هذا الباب من التنظيم، فإن العشوائية لا تعود على صاحبها بفائدة، والنظام ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، فللعبادة وقت، وللنوم وقت، وللترويح عن النفس وقت، وهكذا، واللبيب هو الذي لا يضيع ساعة من وقته فيما لا ينفع ولا يجدي، والموفق من وفقه الله تعالى.

5- العمل بالعلم :

وهذا لعمر الله هو المقصد من التعلم، وعليه المعول، فما طلب العلم إلا للعمل، و إلا كان العلم وبالا على صاحبه،فقد قيل : "العلم شجرة والعمل ثمرة".

"ليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا".

قال ابن المنكدر : "العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه و إلا ارتحل".

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل
لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته
والمتقون لهم في علمهم شغل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به
لا يلهينك عنه اللهو والجدل
وعلم الناس واقصد نفعهم أبدا
إياك إياك أن يعتادك الملل
إذا العلم لم تعمل به كان حجة
عليك ولم تعذر بما أنت حامل
فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما
يصدق قول المرء ما هو فاعل(7)

وفي هذا السياق يجدر بي أن أنبه طالب العلم على ما يلي :

1- المحافظة على أداء العبادة في أوقاتها، وخصوصا فريضة الصلاة، فإن الله تعالى قال : ﴿إن الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا﴾(النساء : 103).

2- المحافظة على الأوراد اليومية مثل : آداب النوم، وآداب الطعام والشراب، ودخول الخلاء، وغير ذلك من الآداب

3- تجنب الألفاظ الساقطة، والكلمات الخبيثة، مثل الفحش وسب الملة، والعياذ بالله، وكذا الكلمات النابية الشائعة على ألسنة الشباب المتفلت.

4- تجنب الأخلاق الرديئة، والخلال السيئة، مثل الغيبة والنميمة، والسرقة، وغيرها من أخلاق الشر والفساد.

5- المحافظة على الهيئة الحسنة اللائقة بطالب العلم.

-يتبع-

1- الرسول المعلم للدكتور يوسف القرضاوي ص 103دار الصحوة بدون تاريخ

2- مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي ص -22 دار لهجرة بيروت ت ط 1409

3- تذكرة الحفاظ للذهبي 108/1

4- نفس المصدر 830

5- البداية والنهاية 25/11

6- انظر للمزيد من هذه الأخبار كتاب:" قيمة الزمن عند العلماء " للمحدث الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله تعاليوهو من أنفع الكتب في هذا الباب.

7- انظر كتاب : وشي الحلل في مراب العلم والعمل 71للعوايشة.

المسألة العلمية في العالم الإسلامي : نظرات في واقع الحال واستشراف المآل

2/2

د. الطيب الوزاني

تمهيد : **تناول المقال في الحلقة السابقة نظرات في واقع حال المسألة العلمية من حيث رصد مجموعة من الاختلالات على مستوى التصور الذي أصبح تصورا غربيا للعلم يغيب فيه الدين وتنقصه الأخلاق وتهيمن عليه القيم المادية وقيم السوق الاقتصادية، وعلى مستوى علاقة العلم بالسياسة تمّ إبراز الآثار السلبية للتدخل السياسي الدولي والمحلي في رسم معالم الخريطة العلمية والتعليمية، وعلى مستوى المضمون تم إبراز تخلف المضمون العلمي عن مستوى التطور العلمي ثم اقتصاره على البعد الاقتصادي والمهني، وفي هذه الحلقة يتواصل الحديث عن بقية هذه الاختلالات في الفقرتين 4و5 والحديث عن أهم ما يلزم من أجل استشراف المستقبل**

4- على مستوى المؤسسات العلمية :

الناظر في واقع وحال المؤسسات التعليمية ومراكز البحث العلمي في العالم الإسلامي يخرج بقناعة أنها تكاد أن تكون اسما بدون مسمى ومفهوما بدون ما صدق (كما يقول المناطقة) وشعارا لما يتحقق مضمونه بعد، لأسباب لعل أبرزها ما يلي :

- أنها مؤسسات ينعدم فيها أي اعتبار للدين وللتربية الخلقية وكأن الطالب والباحث فيها لا يحتاج إلى التكوين الشرعي والخلقي، مما يكاد أن يجعلها مجرد مؤسسات تقنية ومادية صرفة وبعيدة عن التناغم مع تصور الأمة الحقيقي للعلم والتعليم.

- أنها مؤسسات تفتقر للتجهيز الكافي للبحث العلمي تمويلا ومعدات وأطراً، ومخططات مما يجعلها عاجزة عن توفير الجو المناسب للإبداع العلمي والسبق في الاختراع.

- أنها تعاني من الاكتظاظ المخل بالبحث العلمي سواء بالتعليم الثانوي(الشعب العلمية) أو العالي (كليات العلوم والمعاهد التقنية مثلا).

- أنها مؤسسات لا تستوعب - في أغلبها إن لم نقل في كلها - التخصصات العلمية اللازمة والمتكاملة، وتفتقر مراكز البحث العلمي فيها إلى المعدات اللازمة.

- أنها مؤسسات يبقى إنشاؤها ووجودها واستمرارها رهينا بالقرار السياسي المحلي والخارجي.

- أنها مؤسسات يغلب عليها طابع المهنية والاستهلاكية وتلبية حاجات المؤسسات الاقتصادية إلى اليد العاملة الخبيرة والمؤهلة تقنيا.

- أنها في أغلبها فروع لمؤسسات دولية، ومن ثم تبقى محاصرة ومحصورة.

والخلاصة في هذه النقطة يمكن القول إن أغلب مؤسسات العلم والتعليم في العالم الإسلامي لا ترقى إلى مستوى الاستجابة لمتطلبات المؤسسة العلمية المنسجمة في تصورها للعلم مع مقاصد الإسلام، والمتكاملة في مخططاتها وتخصصاتها ومعداتها ولوازمها ومضمونها، والمستجيبة لحاجات الأمة المسلمة في اكتساب القوة العلمية، فلا يزال بينها وبين ذلك خرق القتاد.

5- على مستوى توظيف الخريجين والاستفادة من الكفاءات العلمية :

إن مما حبا به الله الإنسان العقل والقابلية للتعلم والقدرة على الإبداع؛ والعالم الإسلامي على رغم الضعف والهزال الذي تعاني منه مؤسساته فإنه يزخر بالطاقات العلمية، والموارد البشرية القابلة للتأهيل والتكوين، والكفاءات الخبيرة التي بإمكانها أن تكسر طوق التخلف و تتجاوز العقبات لتجعل من نفسها كفاءات في مستوى نظيراتها في البلدان المتقدمة.

غير أن هذه الكفاءات والمواهب لا يتم رعايتها والحفاظ عليها في مرحلتين أساسيتين :

مرحلة التربية والتكوين : حيث غالبا ما لا تهتم المؤسسة التعليمية برعاية الموهوبين والاهتمام بتنمية طاقاتهم وتشجيع إبداعاتهم ومواهبهم، بل الأدهى من ذلك فقد أصبحت جهات غربية تتكفل برعاية الموهوبين وكفالتهم وانتقائهم والإشراف عليهم وتهيئ لهم فرص الانتقال إلى الدول الغربية لإتمام الدراسة والتوظيف هناك!!.

مرحلة التخرج : والمتخرجون من الجامعات الإسلامية أو المبعوثون إلى الجامعات الغربية كثير منهم يعد من أصحاب المواهب العلمية والطاقات الإبداعية، غير أن البلدان الإسلامية لا تقدر مواهبهم ومؤهلاتهم بل أحيانا لا تستطيع توفير تخصصات علمية أو مناصب شغل مناسبة لتخصصاتهم، مما يدفع هذه النخب العلمية للهجرة والعمل في المؤسسات العلمية الغربية، ولا أدل على ذلك الأرقام المهولة لهجرة الكفاءات العلمية بالنسبة لبلدان العالم الثالث عموما والعالم الإسلامي خصوصا.

وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعف أو غياب شبه كامل لتدبير الشأن العلمي ومؤسساته في العالم الإسلامي، وغياب سياسات فعلية تشخص الواقع وتستثمر الطاقات والإمكانات وتستشرف المستقبل على بصيرة من الأمر.

يجب تحرير البحث العلمي من القرار السياسي الدولي وبناء سياسات وطنية سليمة ورصينة ذات أبعاد إنسانية وخلقية، ولا يتم ذلك إلا بتحرير القرار السياسي المحلي من هيمنة التدخل الدولي في إطار من العلاقات الدولية المحترمة المبنية على الاعتراف المتبادل بحق الشعوب والدول في تدبير شؤونها واتخاذ قراراتها الحرة والمسؤولة

ثانيا : نظرات مجملة في استشراف المستقبل والمآل :

بالنظر إلى الحالة المزرية التي يشهدها واقع المسألة العلمية في العالم الإسلامي، من حيث انحراف التصور والانجذاب نحو التأثير السلبي للقرار السياسي الداخلي والخارجي وهزالة المضامين العلمية وأساليب أجرأتها وتدريسها. وبالنظر إلى ضعف حال المؤسسات العلمية ومراكز البحث الجامعية والمراكز المتخصصة، وضعف سياسة تدبير الموارد البشرية المؤهلة والاستفادة من خبرات الموهوبين وكفاءات الخريجين فإنه يمكن القول إنه :

● أولا : لا سبيل للأمة الإسلامية بل وللمجتمع الدولي عموما للخروج من أزمة العلم وأخطائه (البيئية والإنسانية والاجتماعية) إلا بتصحيح التصور في المسألة العلمية وعلاقتها بالوحي وبالإنسان والكون واعتبار الوحي الإسلامي الموجه الشرعي والخلقي لمسار البحث العلمي، وتوجهاته.

● ثانيا : يجب تحرير البحث العلمي من القرار السياسي الدولي وبناء سياسات وطنية سليمة ورصينة ذات أبعاد إنسانية وخلقية، ولا يتم ذلك إلا بتحرير القرار السياسي المحلي من هيمنة التدخل الدولي في إطار من العلاقات الدولية المحترمة المبنية على الاعتراف المتبادل بحق الشعوب والدول في تدبير شؤونها واتخاذ قراراتها الحرة والمسؤولة.

● ثالثا : بناء استراتيجيات البحث العلمي انطلاقا من القدرات الذاتية مع الاستفادة من التطور العلمي من غير حجر ولا وصاية، واختيار المضامين والمناهج والطرق البيداغوجية الكفيلة بتحقيق المسايرة والمواكبة للعصر، واعتماد اللغة العربية مادة حاملة للعلوم ومواصلة مسلسل التعريب وإعداد استراتيجيات علمية وعملية هادفة في هذا المجال.

● رابعا : إعداد المؤسسات العلمية إعداداً ماديا ومعنويا من أجل القيام بهذا الدور العلمي، والتفكير في إعداد أجيال ومجتمعات مشبعة بالثقافة العلمية وبالروح العلمية، لأن المؤسسة العلمية والتعليمية هي المجتمع كله، وأنى لمجتمع غير مشبع بقيم العلم والتعلم ولا يحمل هم التحصيل العلمي أن يكون له حظ في السبق العلمي!!

● خامسا : من غير توظيف الخبرات والكفاءات العلمية واستثمارها محليا وإعداد الفضاء المناسب لها ولتخصصاتها والمناسب لقيمتها بما يكفل لها حق العمل والبحث والكرامة، فإن دار لقمان ستظل على حالها من السوء والتردي ما لم يقيض الله لها من يخرجها من هذه الظلمات إلى النور ﴿ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾(البقرة : 129).

تتمة : عندما تؤيد الدراسات العلمية الحقائق الإسلامية

بلى! ولكنه رأى في الواقع ما يدل على صدق الرسول، فدعاه هذا لأن يؤكد إيمانه به رسولاً. وفي هذه القصة دليل على ما ذكرنا قبل قليل من أنه لا بأس على المؤمن أن يبحث عن أدلة يؤيد بها إيمانه بكلام الله أو كلام رسوله ولاسيما إذا كان الكلام مما يبدو غريباً، كما في هذه القصة، ولا بأس عليه من أن يسره وجدان مثل هذا الدليل، ولا بأس عليه من أن يستعمل مثل هذه الأدلة الخارجية الكونية في الدعوة إلى سبيل الله، لكن ينبغي أن نتذكر بأنه ما كل إنسان يذعن للدليل مهما كان كونياً ومادياً ناصعاً، بل إن بعض الناس يصرون على كفرهم مهما رأوا مثل هذه الأدلة، ولن يعدموا حجة باطلة يتعللون بها في إصرارهم. ألم يقل الله تعالى عن أمثال هؤلاء : ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾(الأنعام: 7) فهم لا ينكرون أنهم رأوا الكتاب في القرطاس ولمسوه بأيديهم، لكنهم يعللون إنكارهم بأن لمسه له ليس لمساً حقيقياً؛ لأنهم قوم مسحورون.

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾(الحجر : 14).

بل إن هنالك ما هو أعجب من هذا، وهو : أن المنكرين للحق الكارهين له لو ماتوا وأدخلوا النار وذاقوا آلامها، ثم أعطوا فرصة ثانية للعودة إلى الدنيا لكفروا، كما كفروا من قبل.

فعلى المسلم مهما سرته الأدلة الكونية الدالة على صدق الرسول ﷺ أن لا يظن أنها ستقنع كل كافر بالله تعالى.

نذكر في ختام المقال أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان قد قال مثل كلام هذا العالم البريطاني، لكنه أضاف حقيقة لا يعرفها هذا الأكاديمي، هي : أن الطفل حتى لو عزل من تأثير الوالدين؛ فإن الشياطين لا تتركه؛ لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي في صحيح مسلم : «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم».

مجرد رأي

مدارسنا ومدارسهم !!

ذ. عبد القادر لوكيلي

... يقدم الإعلامي البارز الأستاذ أحمد الشُّقَيْري برنامجه الشيق "خواطر رمضان من اليابان" على قناة الرسالة الهادفة. والبرنامج غاية في الروعة ينم عن حرفية عالية وبراعة في التقديم والعرض بحيث يشد المشاهد إليه شداً قويا، شأنه في ذلك شأن العديد من البرامج المتميزة التي تقدمها قناة الرسالة وباقي القنوات الإسلامية التي خلصتنا (بحمد الله) من غثائية وتخلف البرامج التي تقدمها معظم القنوات العربية.. فكرة البرنامج تقوم على عقد مقارنة بعض مناحي الحياة اليومية في كل من اليابان وبعض الدول الإسلامية والعربية، كل ذلك عن طريق الاستطلاع المشوق والحوار الهادئ والتعليقات الساخرة أو حتى بدون تعليقات في أحيان كثيرة ليترك للمشاهد حرية التأمل والتعليق. في إحدى الحلقات تناول قضية التعليم والحياة المدرسية في اليابان بدون أن يقارنها -هذه المرة- بما هو موجود في الكثير من دولنا الإسلامية وذلك من باب تفسير الواضحات من المفضحات. المهم، قضى الرجل يوما أو بعض يوم في إحدى المدارس الابتدائية، التلاميذ يدخلون مدارسهم بكل نظام واحترام يلبسون زيا موحداً، يؤدون تحية العلم بعد ذلك يذهبون إلى فصولهم ولا يدخلونها بأحذيتهم، بل يخلعونها عند الباب ليلبسوا بدلا عنها نعالا خاصة حفاظا على نظافة الحجرات وتقديسا لحرمة الفصل وطلب العلم.. قبل بداية الحصة يقومون ببعض التمارين التسخينية البسيطية، بعد انتهاء الحصة الصباحية، يتحول الفصل إلى قاعة منظمة للطعام؛ يقوم فريق من التلاميذ بالتناوب بتوزيع الطعام المحضر بعناية وفي أواني نظيفة، وقبل الشروع في الأكل يرددون أدعية خاصة ولا يأكلون حتى يبدأ مدرسهم بالأكل، كل ذلك يتم في نظام تام ووفق طقوس خاصة وكأني بهم يطبقون سنة آداب الأكل عند المسلمين والتي فرط فيها الكثير منهم للأسف الشديد. بعد الأكل يقوم نفس الفريق بجمع الأواني وترتيب الطاولات فتعود قاعة الأكل كما كانت بداية حجرة للدرس، وبالمناسبة فأواني الأكل تعود تقريبا نظيفة فمن عادات اليابانيين لعق الأواني وعدم ترك الطعام فيها وقد رأينا ذلك حتى في المطاعم الفاخرة. وسوف أتحدث عن ذلك مستقبلا بإذن الله.

فأوانيهم تعود فارغة تماماً كما تعود الأواني عندنا مملوءة بالأطعمة، فيضيع ما يقارب 50٪ من طعامنا في القمامات، ومن حولنا من لا يجد قوت يومه؟!! ولذلك تجد القمامات عندنا -ما شاء الله- مطاعم متنقلة لهؤلاء الجياع؟!

وقد يتساءل البعض عن المغزى من وراء إطعام التلاميذ داخل فصولهم؟

فأولا حتى لا يُضيع هؤلاء التلاميذ أوقاتهم ذهابا وإيابا بين المدرسة والبيت خاصة في أوقات الذروة حيث الاكتظاظ في الطرقات، وبالتالي فالمدارس -بفعلها هذا- تساهم في التخفيف من الازدحام وكذلك التخفيف على ذوي التلاميذ من تحضير الطعام حتى يتفرغ كل واحد لانشغالاته.

الأمر الثاني هو تجنيب التلاميذ أكل أي شيء خاصة الأكلات السريعة والتي تضر بصحة الأطفال وقد تسبب تسممات كما هو الحال عندنا.

تعالوا الآن معي إلى الحياة المدرسية في العديد من مجتمعاتنا الإسلامية، تلاميذ يدخلون مدارسهم في أشكال وهيئات مخلة بالآداب والوقار، سراويل مثقوبة وهابطة، شعور منفوشة ومشكلة، بطون وصدور فتيات نصف عارية إلا من رحم الله. يدخل التلاميذ الفصل في فوضى عارمة وبدون نظام ولا احترام وقد سُعِّرت شهواتهم وهُيِّجت غرائزهم من فرط ما يرون حولهم من ميوعة وتكسر في الكلام والحركات حتى لا يعود الواحد منهم يفكر إلا بغرائزه همه إثارة انتباه فتاة هنا أو إغاظة تلميذ منافس هناك وغالبا ما يتم ذلك على حساب أعصاب المدرس أو المدرسة من خلال تحديهم واستفزازهم إظهاراً "لفُتوة" زائفة أو "بلطجة" صبيانية. فإذا انتهت الحصة خرج الجميع في فوضى عارمة كما دخلوا وقد انصرفوا عما تعلموا أو انصرف عنهم ما تعلموا...

ومع هذا تجد من لا يمل من تذكيرك بأن الوزارة عاكفة على تحسين جودة التعليم والرفع من مستوى المردودية. ومحاربة الهدر المدرسي.

وأي هدر أفظع من ترك تلاميذ يتصرفون على عواهنهم وكيفما اتفق يدخل ثلثهم "مْقَرْقَبْ" وثلثهم مُهيَّج لا هم له سوى استفزاز المدرسين وحرق أعصابهم. أما الباقي فهم تلاميذ نجباء كل ذنبهم أنهم حشروا في أقسام يقودها "الصُّيَّع" وقليلو الأدب والأخلاق.

إن الإصلاح يبدأ من تنقية المدارس من أمثال هؤلاء والعمل على تربية الناشئة على القيم وتقدير طلب العلم وتقديس مؤسساته واحترام القيمين عليه.

مواقف

من يحمي ألسنة أطفالنا؟

ذة. أمينة المريني

داخل الصفوف الدراسية يتفاقم مشكل التواصل اللغوي الجيد بين المدرس ومتعلميه، خصوصا فيما يتعلق باللغة الأم.. وإذا كانت الشكوى التي يقدمها مدرسو اللغات الأجنبية مقبولة فإنها لا تبدو كذلك بالنسبة للغة العربية، ولعل القضية تعود إلى التكوين الذي يتلقاه الأطفال منذ البداية. وإذا كانت رياض الأطفال تحرص على التواصل مع الأطفال باللغة الفرنسية لأسباب معلومة... فإن الأمر مخالفٌ تماما مع اللغة العربية، إذ لا تراعى أبسط المعايير التربوية والعلمية والأخلاقية في التعامل بهذه اللغة داخل الصفوف بل قد تعتمد الدارجة أداة للتواصل، فينشأ الطفل ضعيفا لغويا، ويستفحل المشكل مع مواد تُدَرَّس باللهجة الدارجة المعربة كبعض المواد العلمية، ويدّعِي بعد ذلك القيمون على الأمر أن اللغة العربية تأخذ حصة الأسد من البرنامج العام لأنها أداة رئيسة لأغلب المواد!!!

لقد أفسد ألسنة الأطفال أمور منها : غياب رؤية تربوية واعية بقيمة اللغة في حياة أمة القرآن، فالبيئة عندنا غير مساندة وغير مشجعة بدءا بافتراض حرصَ المربين على تحفيظ الأطفال منذ نعومة أظفارهم القرآن الكريم، ومروراً بتشجيعهم على المطالعة المتواصلة وذلك باقتناء الكتب المناسبة لكل مرحلة عمرية، وانتهاءاً باعتماد اللغة العربية أداة تواصل داخل المدرسة.

لقد برهنت التجربة على أن الأطفال الذين يحفظون القرآن الكريم ودُرِرا من الحديث النبوي الشريف ونتفا من الشعر ومأثور الكلام تسلس ألسنتهم وتسلم لغتهم وتعذب مخارج الحروف لديهم بل ويتفوقون دراسيا.

وفي تجربة بسيطة داخل المحترفات التي أنشأناها من خلال "محترف الكتابة" بفاس ببعض المؤسسات التعليمية لاحظت أن حفظ الأساليب يقوي ملكة اللغة، وأن نموا مُطّرداً يحصل في ألسنة المتعلمين وفصاحتهم وأخيلتهم وقدرتهم على التواصل والإبداع.. ناهيك عن أن حفظ الشعر يمنحهم أذنا موسيقية عالية التناغم، ومازلتُ أذكر أنني كنت أدرب بعض الصغار على أوزان الشعر عن طريق المقارنة والسماع وإذا بطفلة تقيس بالسليقة على "بحر الخبب" لتقول له مخاطبة في نهاية الحصة "درس الشعر لا أنساه" وهو مقطع موزون تلقائيا.. والشاهد عندي أن الأطفال يتعلمون بالمحاكاة وبالحفظ وبالقياس وبالسماع، وأذكر أن الجاحظ شرَط قول الشعر بالحفظ من جنسه، وأن أبا نواس لم يقل الشعر حتى حفظ لستين شاعرة.

وإذا كان الأمر يتعلق بمطلب اللغة لا بقول الشعر فإن الدعوة ملحة للحفاظ عليها وتعليمها بالاستعمال والقراءة، لا بالقواعد وأراهن على أنه لو يفني المدرسون عمرهم في تدريس قواعدها لن يفلحوا في تلقينها وتحبيبها إلى النفوس.. إن حصص الدرس تغل المواهب عن الانطلاق وتقيد الألسنة بإلزام المتعلم ببرامج صارمة يحكمها امتحان وفرض والأولى للغة أن يخصص لها مشغل ويكون به عمال (تلاميذ) نشيطون وموجه (مدرس) يمارسون عملية الإبداع اللغوي عبر برنامج متنوع ومتدرج لتعاش اللغة وتُحَبّ ويُكْلف بها.

إن مما يؤسف له أن نكون شعبا غير قارئ ومن ذلك أننا لا نهتم بكتب الأطفال وبسياسة تربوية واعية بدور المكتبة في حياة أطفالنا.. وقد سبقتنا شعوب في هذا المضمار ففي الأردن مثلا أدهشني ما شاهدت من اهتمام بأدب الطفل وسباق قوي نحو التأليف للأطفال، وهناك مكتبات قائمة الذات لا تبيع إلا ما يتعلق بالطفل، بل إن الجامعة هناك أنشأت شعبة متخصصة في أدب الطفل.. ونحن مازلنا نلملم الخطى وما زلنا لا نمتلك داخل المؤسسات التعليمية مكتبة للطفل بمعايير المكتبة وشروطها يشرف عليها متخصصون في علم المكتبات.

إن المكتبة لبنة أساسية تساهم في تنشئة الطفل وتطوير اهتمامه وتنمية قدراته ومهاراته. إن القراءة صنو الإبداع والذي لا يقرأ لا يمكن أن يبدع ولا يمكن أن يرتقي بنفسه وبأمته، غير أن الإبداع يجب أن يقرن بالتوجيه والعناية والتشجيع وبالحرية الإيجابية وقد وُجد أن مربي الأطفال المبدعين يكون أقلّ ميلا إلى التسلط وقد صدق ابن خلدون حين رأى أن القهر يقتل النشاط ويذهب بالمعاني الإنسانية لدى الأشخاص والجماعات.

غير أنه يجب أن نحذر ونحن في عصر الموجة الثالثة عصر الثورة التقنية من تسلط من نوع آخر، تسلط الأنترنيت وما يفرزه من (لغة موازية) تحدد مصير اللغة العربية وتلقي بظلال كثيفة عليها، فقد خلق الشباب لغتهم ورموزها، وهي وإن كانت تحقق اتصالا سريعا بينهم فإنها تحتوي على نقمة تهميش اللغة العربية وهي آفة تنضاف إلى آفات كثيرة تنخُر جسد لغة الضاد ويبقى اليقينُ ثابتا في أنها لغة محفوظة بحفظ القرآن.

ردود خاصة

نشكر القراء الأعزاء على مشاركاتهم ونعتذر للإخوة محمد باديس-محمد الصباغ -أحمد بنجنان -فتيحة بوعياد -سارة أبو الأنوار.

بخصوص مقالات رمضان التي لم تنشر وذلك بسبب خارج عن إرادتنا فقد تزامن الشهر الكريم مع العطلة الصيفية فجزاكم الله خيراً ومعذرة.

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب :

20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : **2111113412900014**

■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم :

P 11329 الرباط.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات فاس - المغرب

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

موعظة

خرج هارون الرشيد والعباس ليلاً لزيارة الفضيل بن عياض، فلما وصلا إلى بابه وجداه يتلو هذه الآية: ﴿أم حَسِبَ الذين إجتَرحوُا السيئَات أن نجَعلُهُم كالذِينَ آمنَوُا وعَملوُا الصَالحات﴾ ومعناها: أيظن الذين اكتسبوا الخطايا ويعملون الأعمال المذمومة أن نسوي بينهم في الآخرة، وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون. كَلا ساء ما يحكمون. فقال هَارون: إن كنا جئنا للموعظة فكفى بهذه موعظة. ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب فطرق بابه فقال: افتح الباب لأمير المؤمنين.

فقال الفضيل: ما يصنع عندي أمير المؤمنين؟ فقال: أطِع أمير المؤمنين وافتح الباب. وكان ليلاً والمصباح يتقد فأطفأه، وفتح الباب، فدخل الرشيد وجعل يَطوف بيده ليصافح بها الفضيل، فلما وقعت يده عليه قال الفضيل : اَلويل لهذه اليد الناعمة، إن لم تنج من العذاب في القيامة. ثم قال له: يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى، فانه يوقفك مع كل واحد مسلم على حدة يطلب منك إنصافك إياه. فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً وضمه إلى صدره. فقال له العباس: مهلاً فقد قتلته. فقال الرشيد للعباس: ما جعلك هامان إلا وجعلني فرعون. ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال له: هذه من وجه حلال من صداق أمي وميراثها. فقال له الفضيل: أنا آمرك أن ترفع يديك عما فيها وتعود إلى خالقك وأنت تلقيه إليّ. فلم يقبلها وخرج من عنده.

● التبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد الغزالي

من الكرم النادر

حدثنا ابن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا أبو عبد الله الواقدي القاضي، قال: جاءتني جارتي يوم عرفة، فقالت لي: ما عندنا من آلة العيد شيء، فمضيت إلى صديق لي من التجار فعرفته حاجتي إلى القرض، فأخرج إلي كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم، فانصرفت به إلى المنزل، فما استقررت جالساً حتى استأذن علي رجل من بني هاشم، فذكر تخلف غلته واختلال حاله وحاجته إلى القرض، فدخلت إلى امرأتي فعجبتها من ذلك، فقالت: فما عزمك؟ قلت: أشاطره الكيس، فقالت: والله ما أنصفت، لقيت رجلاً سوقة فأعطاك شيئاً، وجاءك رجل له من رسول الله ﷺ رحم فتعطيه نصف ما أعطاك السوقة؟ فأخرجتُ الكيس بخاتمه فدفعته إليه. ومضى صديقي التاجر يلتمس منه -أي من الرجل الهاشمي- القرض فأخرج إليه الكيس بخاتمه، فلما رآه التاجر عرفه فجاءني به. ثم وافاني رسول يحيى بن خالد يقول: إن الوزير شُغل عنك بحاجات أمير المؤمنين وهو يطلبك، فركبتُ إليه وحدثته حديث الكيس وانتَقاله، فقال: يا غلام! هات الدنانير، فجاء بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ أنت ألفين، وأعط الهاشمي ألفين، وصديقك التاجر ألفين، وامرأتك أربعة آلاف دينار، فإنها أكرمكم.

● الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكرياء

آداب المطاعم

والذي ينبغي أن يبدأ به في تقويمها آداب المطاعم فيفهم أولا انها إنما تراد للصحة لا للذة وأن الأغذية كلها إنما خلقت وأعدت لنا لتصح بها أبداننا وتصير مادة حياتنا. فهي تجري مجرى الأدوية ليتداوى بها الجوع والألم الحادث منه. فكما أن الدواء لا يرام للذة ولا يستكثر منه للشهوة فكذلك الأطعمة لا ينبغي أن يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن ويدفع ألم الجوع ويمنع من المرض. فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره ويقبح عنده صورة من شره عليه وينال منه فوق حاجة بدنه أو مالا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد. ولا يرغب في الألوان الكثيرة. وإذا جلس مع غيره لا يبادر إلى الطعام ولا يديم النظر إلى ألوانه ولا يحدق إليه شديدا. ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الأكل ولا يوالي بين اللقم بسرعة. ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها. ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يؤاكله ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام. ويعود أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه. ويأكل الخبز القفار الذي لا أدم معه في بعض الأوقات وهذه الآداب وإن كانت جميلة بالفقراء فهي بالأغنياء أفضل وأجمل. وينبغي أن يستوفي غذاه بالعشي فإن استوفاه بالنهار كسل واحتاج إلى النوم وتبلد فهمه مع ذلك. وإن منع اللحم في أوقاته كان أنفع له وقعا في الحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعثه على النشاط والخفة. وأما الحلواء والفاكهة فينبغي أن يمتنع منها ألبتة إن أمكن. وإلا فليتناول أقل ما يمكن فإنها تستحيل في بدنه فتكثر إنحلاله وتعوده مع ذلك على الشره ومحبة الإستكثار من المآكل. ويعود أن لا يشرب في خلال طعامه الماء.

● تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص22

حقيقة زهد العلماء

تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون كما قال عز وجل: ﴿وَلاَ يَجدُون في صُدُورهِمْ حَاجَة ممَّا أُوتُوا﴾.

وقال تعالى: ﴿والَّذِيْنَ جَاءُوا منْ بَعْدهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا أغْفرْ لَنَا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ وقد كان أبو الدرداء: يدعو كل ليلة لجماعة من إخوانه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل لولد الشافعي: أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر.

والأمر الفارق بين الفئتين: أن علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء. وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك، وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون من بلي به.

وكان النخعي: لا يستند إلى سارية.

وقال علقمة: أكره أن يوطأ عقبي.

وكان بعضهم: إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام عنهم.

وإنما كان بعضهم يدعو لبعض ويستفيد منه لأنهم ركب تصاحبوا فتوادوا فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر الجنة.

وقال بعضهم : من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال. قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد.

وقال ﷺ : البر لا يبلى والإثم لا ينسى والديان لا ينام وكما تدين تدان.

وكان شيخ يدور في المجالس ويقول: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله عز وجل.

وكان الفضيل بن عياض يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي.

● صيد الخاطر لابن الجوزي

من شعر الإمام الشافعي رحمه الله

إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإنْ كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمَا

وَلَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا

تَعَاظَمَنِي ذنبي فَلَمَّا قَرنْتُه ... بِعَفْوكَ رَبي كَانَ عَفْوكَ أَعْظَمَا

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

فَلَولاَكَ لَمْ يَصْمُدْ لإِبْلِيسَ عَابِدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أغْوى صَفِيَّكَ آدَمَا

فَللَّه دَرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إنَّهُ ... تفيض لِفَرْطِ الْوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا

يُقِيمُ إذَا مَا اللَيلُ مَدَّ ظَلاَمَهُ ... عَلَى نَفْسِهِ مَنْ شِدَّةِ الخَوْفِ مَأْتَمَا

فَصِيحاً إذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ ... وَفِي مَا سِواهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمَا

وَيَذْكُر أيَاماً مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ ... وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمَا

فَصَارَ قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ ... أَخَا السُّهْدِ وَالنَّجْوَى إذَا اللَّيلُ أظلَمَا

يَقُولُ حَبِيبي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي ... كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلاً وَمَغْنَمَا

أَلَسْتَ الَّذِي غَذَّيتني وهديتَنِي ... وَلاَ زِلْتَ مَنَّاناً عَلَيَّ وَمُنْعِمَا

عَسَى مَنْ لَهُ الإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي ... وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدّمَا

أول عبوة ناسفة في التاريخ

قال ابن الجوزي: حدثني بعض التجار، أن رجلا كان زرافا بالنفط ، ضرب دار رجل بقارورة فاشتعلت، وكانت تلك الدار لأيتام يستغلونها كل سنة إذا جاء الحاج، فهلكت وما فيها. ثم أخرج قارورة أخرى فسواها ليضرب بها، فجاء حجر فكسرها، فعادت عليه، فاحترق. فبقي ثلاثة أيام بسفح الجبل ورأى بنفسه العجائب ثم مات

● المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

7– الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية:

المقاربة وما يقصد بها في الاستعمالات الجديدة (3 – ب)

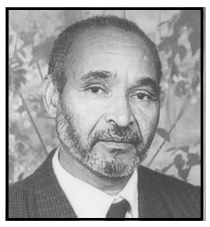

د. الحسين گنوان

قدمنا في الحلقة الماضية (3 –أ) عدد 324 من المحجة الوظيفة الدلالية الأولى لصيغة المفاعلة، لأجل ضبط دلالات الكلمات التي تأتي على هذا الوزن مثل (المقاربة)، بعد تمهيد بسيط يوضح السياق الذي ترد فيه هذه القاعدة، واتضح أن أوّل المعاني التي تفيدها صيغة المفاعلة هي المشاركة بين اثنين أو طرفين، وهذا هو الاحتمال الأول الذي ينبغي أن يراعى في معنى أية كلمة تصاغ على هذا الشكل (المفاعلة)، وفي هذا يقول ابن عصفور : "فاعَل.. وأكثر ما تجيء من اثنين، نحو «ضاربت» و«قاتلت»"(الممتع 188/1).

والملاحظ أن لصيغة المفاعلة وظائف دلالية أخرى غير دلالة المشاركة في الحدث بين اثنين، من ذلك ما يلي :

قد ترد كلمة مّا على صيغة فاعَلَ دون أن تصدر عن اثنين بل تصدر عن واحد فقط، وتدل على معنى لا يفيد المشاركة بين اثنين وفي هذا يقول سيبويه : «وقد تجيء فاعلت لا تريد بها عمل اثنين، ولكنهم بنوه على الفعل، كما بنوه على أفعلت، وذلك قولهم : ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، وسافرت، وظاهرت عليه، وناعمْتُه، بَنَوْهُ على فاعلت كما بَنَوْهُ على أفْعلت. ونحو ذلك : ضاعفت، وضعّفت، مثل ناعمت ونعَّمْت فجاءوا به على مثال عاقبته»(ك 68/4).

يلاحظ من خلال هذا النص الذي أوردناه لسيبويه وما يتضمنه من (تعابير) وأمثلة أن صيغة (فاعل) لها وظائف دلالية أخرى غير ما ذكر، لكنها لا ترقى من حيث كثرة استعمالها إلى درجة الدلالة على المشاركة بدليل قوله : «وقد تجيء فاعلت»، ومن المعلوم أنّ حرف (قد) يفيد التقليل عندما يدخل على الفعل المضارع، وعليه فالاحتمال الأول الذي ينبغي أن يراعى في دلالة أية كلمة تأتي على صيغة المفاعلة هو معْرِفَةُ الجهة التي صدر عنها الفعل لأجل ضبط دلالته، وهذا يستوجب دِرايةً خاصة بقواعد التصريف في اللغة العربية لأجل التمييز بين دلالة ما يدل على المشاركة، وما لا يدل عليها من الكلمات المصوغة على وزن المفاعلة، ومن ثم استعمالها الاستعمال اللائق، وفي النص المذكور إشارات تساعد على إدراك هذه الفروق الدلالية بين هذا النوع من الكلمات أو ذلك مثل قوله أي سيبويه في النص السابق : «ولكنهم بنوه على الفعل» وقوله «كما بنَوْه على أفعلت» وقوله : «ونحو ذلك : ضاعفت وضعَّفْت مثل ناعَمْتُ ونعَّمْت».

فكل مثال من بين هذه الأمثلة يدل على حالة خاصة من الاستعمالات التي يُحتمل أن تَرِد بها الكلمات المصوغة على وزن فاعل، ومن ثم المفاعلة، من ذلك –كما ورد في النص– ما يلي :

2– فاعل : بمعنى «فعَلَ» ولعل هذا ما يقصده سيبويه في النص بقوله : «ولكنهم بنوه على الفعل» وهذا ما وضحه الإسْترابَادي وهو يشرح شافية ابن الحاجب بقَوله «إن فاعل تأتي بمعنى فعَلَ» كسَافرت بمعنى سَفَرْتُ : أي خرجت إلى السفر، ولابد في سافرت من المبالغة.. وكذا «ناولته الشيء» أي نُلْته إياه –بضم النون– أي أعطيته، وقرئ (إنّ الله يدْفع) و(يُدافع)(شرح الشافية 99/1).

ويدخل هذا المثال أي استعمال المفاعلة بمعنى فعَلَ ضمن قانون عام يمكن الاصطلاح عليه بتقارض الصيغ، أي استعمال صيغة تصريفية مكان أخرى لقصد بلاغي معين كمجيء فَاعِلٌ بمعنى مفعول مثل حبيب بمعنى مَحبوب، واستعمال المثنى مكان الجمع أو العكس، والعجب أنّ دلالة الكلمة المُفْتَرضة لتستعمل بمعنى كلمة أخرى تكون أقوى دلالة منها، ولذا نلاحظ أن الاسْترابادي قال في سافرت التي استعملت بمعنى سفرْتُ «ولابد في سافرت من المبالغة» وما قيل في هذا المثال يَنْسَحِب على بقية الأمثلة في هذا المجال.

3– فاعل بمعنى أفعل، وهو ما أورده سيبويه في قوله : «كما بنوه على أفعلت» ولهذه الصيغة أي «أفعل» وظائف دلالية متعددة وهي هنا بمعنى جعل الشيء ذا أصْلِه، أي نسبته إلى الصفة التي يؤول إليها. وهذا ما يوضحه ابن الحاجب بقوله : «وقد يجيء (أي فاعل) بمعنى جعل الشيء ذا أصله كـ"أفْعَلَ" و"فعَّل" نحو «راعنَا سمْعَك» أي اجعله ذا رعاية لنا كأرْعِنَا و«صَاعَر خَدّه» أي جعله ذا صَعَرٍ (يقَال صعَر خَدَّهُ وصاعره إذا أماله من الكبر)، و«عافاك الله» أي جعلك ذا عافية،

4– فاعل بمعنى فعّل، ولهذه الصيغة أيضا أي فعّل وظائف دلالية متعددة وهي هنا تفيد التّكثير وتتقاسم هذا المعنى مع فاعلت : يقول : الاسْترابادي، قوله «بمعنى فعَّل» أي أن فاعل تأتي بمعنى فعّل، أي يكون للتكثير كفعّل نحو «ضاعفت الشيء أي كثّرت أضْعافه، و«ناعَمَهُ الله» كنّعَّمَهُ، أي كثر نعْمته بفتح النون»(شرح الشافية 98/1– 99).

والخلاصة هل مستعملوا المقاربة يستعملونها بمعنى فعَلَ لتفيد المبالغة، أو بمعنى أفعل لتفيد جعل الشيء أصله، أو بمعنى فعّل لتفيد التكثير، بل أبعد من ذلك هل دلالة الأصل (ق–ر–ب) حاصرة في استعمالاتهم؟!

–يتبع–

إسماعيل هنية ينال "إجازة السند المتصل" في تلاوة القرآن الكريم

نال إسماعيل هنية رئيس الوزراء في الحكومة الفلسطينية إجازة السند المتصل إلى النبي ﷺ في قراءة القران الكريم برواية حفص بن عاصم.

وقد كرمت حركة المقاومة الإسلامية حماس ودار القرآن الكريم والسنة في شمال قطاع غزة يوم الأربعاء، رئيس الوزراء الفلسطيني لنيله الإجازة، عقب إمامته للمصلين في صلاة التراويح بمسجد الخلفاء الراشدين الذي أُعيد افتتاحه قبل أيام بعد الدمار الذي لحق به عقب قصفه من قبل طائرات الاحتلال خلال العدوان الأخير على غزة قبل ثمانية شهور.

وقد تم التكريم بتقديم درع لرئيس الوزراء سلّمه له القيادي في الحركة الشيخ عبد الكريم الجعبير، فيما قدمت دار القرآن الكريم والسنة درع تكريمها لرئيس الوزراء قام بتقديمه الأستاذ جميل عدوان رئيس دار القرآن في شمال القطاع.

وأعقب التكريم كلمة لهنية قال فيها: "نُقيم اليوم الصلاة في مسجد الخلفاء لنشارك شعبنا إعادة افتتاحه بالرغم من الدمار الذي لحق به، ولنصنع من هذه الجدران المهدمة جسوراً للعودة والنصر على الاحتلال الصهيوني".

وأضاف هنية: "ونحن نصلي في مسجد الخلفاء نفتقد شيخنا العالم المجاهد الشهيد نزار ريان، ذاك الرجل الذي ترك أثراً في حياتنا وحياة المجاهدين جميعاً، ولكن عزاءنا بالشيخ الريان أنه طلب الشهادة في سبيل الله بصدقٍ فنالها، وأنه صدق الله تعالى فصدقه الله، واصطفاه مع الشهداء في معركة الفرقان".

وأكد رئيس الوزراء على أنه وبالرغم من الدمار والخراب الذي لحق بمساجد القطاع خلال العدوان الصهيوني الأخير إلا أنها عامرة بالمصلين من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ الذين يتمنون اللحاق بركب المجاهدين.

وأشار هنية إلى أنه يتلقى الكثير من الاتصالات الدولية من قادة وعلماء ومفكرين عرب وإسلاميين يشاطرون حكومته ويشدون من أزر أهالي القطاع في وقفتهم ضد الحصار الظالم وتواصل العدوان، ويعلنون دعمهم الكامل لهذا الشعب الذي يعتبرونه خط الدفاع الأول عن كرامتهم وعزتهم.

وأثنى هنية على صمود الشعب الفلسطيني أمام الهجمة الصهيونية الشرسة التي طالت المساجد والبيوت الآمنة والنساء والأطفال، مشدداً على أن هذا الصمود قد سجل أروع صفحات العزة والكرامة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية.

وفي ختام كلمته أعرب رئيس الوزراء عن بالغ سعادته بتكريمه من قبل حركة حماس بحصوله على شهادة السند المتصل، مقدماً شكره للقائمين على هذا التكريم، مضيفاً: "إن أسعد يوم في حياتي هو يوم حصولي على السند المتصل إلى النبي ﷺ، وإن أروع لحظات حياتي هي عندما أكون بصحبة كتاب الله وهو خير جليس لي".

● الإسلام اليوم/ وكالات

بِنَبْضِ القلب

أوباما وحكاية الشمس والريح

من الحكايات الهادفة التي درسناها ونحن صغار، حكاية الشمس والريح، ومفادها أن الشمس والريح تخاصمتا أيهن قادرة على تجريد الإنسان من ثيابه، فقالت الريح أنها الأقدر على ذلك فأرسلت عواصفها كي تقتلع ثيابه، غير أنه كلما اشتد عصف الريح ازداد تشبثا بها، فضحكت الشمس وقالت : يا عزيزتي (وتقصد الريح) إن هذا الإنسان يؤخذ باللين وليس بالشدة، فأرسلت الشمس أشعتها الدافئة، وكلما ازدادت حرارتها نزع الإنسان جزءا من ثيابه حتى أصبح عاريا.. هذه الحكاية تحيلنا على سياسة الرئيس الأمريكي أوباما الذي استفاد من أخطاء سلفه السيء الذكر "جورج دبليو بوش" وعلم أن الشدة وسياسة القبضة الحديدية لم تورث السياسة الأمريكية في العالم الإسلامي سوى البغض والحقد، فما كان منه إلا أن أبدى حسن النية ورحابة الصدر تجاه العالم العربي والإسلامي، تمثل ذلك في إغلاق سجن "غوانتنامو" الرهيب، وتحديد سقف زمني محدد لانسحاب الجيش الأمريكي من العراق، وكان أخيرها وليس آخرها توجيه رسالة إلى المسلمين من منبر جامعة القاهرة يحثنا فيها على التعايش والسلام وبداية صفحة جديدة من العلاقات الإنسانية على الاحترام المتبادل.

وفي جانب آخر تمثلت سياسة الشمس والريح التي نهجها أوباما في نزع آخر أوراق التوت التي تغطي عورات الأنظمة العربية، حيث اجتهدت الديبلوماسية الأمريكية في جر النظام العربي إلى مستنقع التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، مختزلة القضية الفلسطينية كلها في الوقف الجزئي للاستيطان، ناسية أو متناسية مشكل القدس الشريف وعودة اللاجئين والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة، كما يستمر القصف العشوائي للمدنيين بأفغانستان.

فهل الأنظمة العربية ولاسيما المصنفة في خانة الاعتدال واعية بما يحاك في دهاليز البيت الأبيض، أم أنها ماضية في سياسة التطبيع والتعري بفعل لفحات السياسة الأمريكية الحارقة؟؟!!

ذ. أحمد الأشهب

بارقة

خريطة الطريق إلى الجحيم

د. عبد السلام الهراس

مرتْ بالعرب مآسٍ كثيرةً ونكبات مُختلفة من أقربها تمزيقُ البلاد العربية إلى أوطان ودُول، وذلك في نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أعلن أميرُ مكة الشريف حسين الحرب بجانب انجلترا والحلفاء ضداً على تركيا التي ورّطها في هذه الحرب حكامُها المجرمون الموالون لليهود والصهيونية المعروفون بالاتحاد والتّرقي إلى جانب ألمانيا وكانوا قد خلعوا السلطان عبد الحميد رحمه الله وسجنوه هو وأسرته ثم لمّا أجهزوا على تركيا من الداخل وورّطُوها في الحرب هرَبُوا وتركوا البلاد نهباً للاستعمار ولليونان..

وفي آخر هذه الحرب كان وعدُ بولْفُور بإنشاء دولة صهيونية داخل الوطن العربي لإحْكام تمزيقه كما وُزّعت البلادُ العربية على انجلترا وفرنسا فكان من نصيب هذه سُوريا التي مزقتها إلى سوريا ولبنان الذي كان عبارةً عن جبل لُبْنان فأضيفت إليه صُور وصيْدا وبيروت وطرابلس والبقاع وبعلبك وشمالها والهرمل فأصبح يُعرف بلبان الكبير، وأنشأت انجلترا دولة الأردن ونصبت عليه عبد الله بن الحسين جد الملك حسين كما أنشأت دولة العراق ونصبت عليه فيصل بن الشريف حسين وسجنت أباهما في قبرص لأنه صُدم بخيانة انجلترا له إذ لم تُنصِّبْهَ ملكا على العرب. وجعلت فلسطين تحت سلطتها لتهيئها للصهيونية دولةً لها. وتكونت الجامعة العربية التي كانت عُنوانا للفشل والإخفاق ولتسدّ بها الطريق أمام العرب حتى لا يظلوا يَحلُمون بالجامعة الإسلامية..

وظهرت في نهاية هذه الحرب وبعدها تيارات القومية العربية بزعامة ساطع الحُصري ثم ظهر بعد الحرب العالَمية الثانية تيارُ "البعث العربي" بزعامة النصراني القبرصي الأصل : ميشيل عفلق وهكذا استطاع المغفّلون العرب الذين يُجامِلُون نصارى العَرب أن يثيروا نعرات الجاهلية فظهرت القومية الكُردية والقومية السّورية (لتكوين دولة الهلال الخصيب) والقومية الأشورية ووقعت الحربُ في فلسطين بين الصهاينة والعرب الذين خاضوا الحرب جميعا ماعدا السعودية واليمن وكانت كتائبُ الإخوان المسلمين والمجاهدين المتطوعين أقوى من الجيوش العربية التي انصاعَتْ لقَرار مجلس الأمن بوجوب الالتزام بالهدنة التي ما تزال إلى الآن، ثم بدأت مرحلة الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر والسودان والعراق وأخيراً ليبيا وكان وراء ذلك المخابرات الأمريكية كما جاء ذلك صراحةً في كتاب "لُعبة الأمم" وكانت هناك ثورةٌ مبكرة في اليمن تزعمتها بعض الأسر اليمنية المتحررة كآل الوزير وآل الأكوع بالتعاون مع الإخوان المسلمين باليمن بزعامة الشيخ الفُضَيل الورتلاني العالم الجزائري المعروف، وكانت هذه الثورة قبل الانقلاب المصري، وقد التقيتُ عدةَ مرات بالشيخ الفُضيل في بيروت من سنة 1953- 1957 كما درس معي المؤرخ الكبير القاضي إسماعيل الأكوع من أحفاد العلامة الشوكاني وقد عانى في السجن كثيراً وحكيا لي طرفاً من هذه الثورة التي باءت بالفشل والهزيمة بتدخل بعض الدول المجاورة ومن وراء ذلك الأيادي الاستعمارية بزعامة انجلترا..

ثم تحولت الثورات والانقلاباتُ إلى أنظمة استبدادية وها هي الآن تتحول إلى نظام ملكي عضُود كما وقع في سوريا ويقع الآن في مصر وليبيا أما قضية فلسطين التي كانت المسوغَ الأول لتلك الانقلابات فقد اختُصرت في "خريطة الطريق" وفي مؤتمر دَايتون وقد أصبحتْ خريطة الطريق هي إنجيل القضية وندع لصحيفة صهيونية تُبين إخلاص السلطة الفلسطينية لهذه الخريطة ولأوامر الجنرال دايتون المُنسِّق الأمريكي الذي يساعد في إعادة بناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية في حكومة المتأمرك : سلام فيّاض الذي كان موظفا في البنك الدولي(!!) تقول جريدة "إسرائيل اليوم" الصهيونية "ليس من اللّطيف الاعتراف بأن السلطة الفلسطينية عكس إسرائيل تلتزم بمُتطلّبات خريطة الطريق وتتحرك ضدّ "البنية التحتيةَ للإرهاب".. "وحكومة سلام فياض قامتْ بحلِّ كتائب شُهداء الأقصى التابعة لفتح، والأجهزةُ الخاضعةُ لرئيس السلطة محمود عباس تخوضُ صراعاً لا هوادة فيه ضد مسلحي حماس والجهاد الإسلامي" والمشاهد أن الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية تبذُل قصارى جُهودها بجانب حكومة فياض للفتك بحماس وقمع الفدائيين في الضفة وسجنهم بالتعاون مع الصهاينة الذين يعتقلون أي فلسطيني فيه روحٌ وطنيةٌ وإسلامية وما تزال عروقُه تنبض بحب وطنه و دينه، فيومياً تُعلن الأخبارُ عن اعتقال يقَعُ في الضفة بالتعاون مع السلطة الفلسطينية. أمَّا حصارُ غزة من الجانب الصهيوني ومن جانب الأشقاء المصريين فمعروف!! والجامعةُ العربية صامتةٌ، والدول العربية صامتةٌ، والحصار يزداد ضراوةً وقساوةً، كلُّ ذلك يقَعُ التزاماً بمؤتمر دَايتون ومؤتمرات أخرى، وبخريطة الطريق التي تقود إلى الجحيم في الدنيا والآخرة ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(البقرة : 256) وإذ يقولُ أيضا : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهُم إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تُصيبنا دائرةٌ فعسى الله أن ياتيَ بالفتح أو امرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين﴾(المائدة : 51- 52).

الذين يجيئون متأخّرين

أ. د. عماد الدين خليل

بعد أكثر من ربع القرن على انتشار البنيوية في الغرب على المستوى النقدي، انتبه أدباؤنا ونقادنا العرب إلى هذا الزائر الجديد.. وعلى حين غفلة انعقدت الندوات وألقيت المحاضرات وكتبت المقالات وتبودلت الاتهامات في منتديات ودوريات عواصمنا العربية، وبلغ الاندفاع لمعانقة هذا القادم والتشبث بأذياله حدا أصبح معه كل أولئك الذين لم يهشّوا له ويشاركوا في حضور حفلات استقباله، خارج نطاق الأدب، منفيين من دائرة النقد المعاصر!

هل يتصور ناقد يحترم ثقافته وأدوات عمله ناقداً آخر لا يعرف شيئاً عن البنيوية التي سرت كالنار في شرايين الأنشطة النقدية، إلاّ أن يكون هذا الآخر متخلفاً عن الركب غير قادر على اللحاق به؟

وعبر متابعة للصحف والندوات في مدننا العربية خلال الثمانينيات على وجه التحديد، وعبر ملاحقة للمحاولات والطموحات النقدية في بلادنا، يتبين لنا أن الأمر ليس هزلاً وإنما يجب أن يحمل محمل الجد!

إن موجات متعاقبة في دائرة الأدب والنشاط المعرفي عموماً، سبقت البنيوية وغزت ديارنا، كما تفعل البنيوية والتفكيكية وما بعدهما اليوم، ثم ما لبث أن ضرب بعضها بعضاً ونفى بعضها بعضاً وخرج المثقف العربي وقد نفض يديه منها جميعاً لكي ما يلبث أن يتهيأ لاستقبال الموجة الجديدة. ولن ينسى أحد ما حدث بالنسبة للوجودية - على سبيل المثال - ولن ينسى - كذلك - ما كان يلقاه صاحبها (سارتر) من حفاوة واستقبال في عواصمنا، ثم ما لبث أن تكشف الموقف على حقيقته فإذا بالوجودية لا تعني المطلق، ولا تمنح العقيدة التي توازي هموم الإنسان فضلاً عن الأديب، وإذا بسارتر نفسه يشك في الأيام الأخيرة من حياته بجدوى فلسفته كلها، ويمضي مخلفاً وراءه أكثر من علامة استفهام على فكره الذي دان له جيل من المثقفين في المشارق والمغارب.

وما حدث للوجودية شهدته معظم المذاهب القادمة من هناك، تحمل في البدء بريقها الذي يبهر الأبصار، ثم ما يلبث أن يخفت الوهج فيتراجع الأتباع، ويجد المذهب نفسه منساقاً إلى زوايا الظلمة والنسيان.

وها هي البنيوية تشهد المصير نفسه منذ بداية السبعينيات، أي بعد مرور عقد ونصف فقط على انبثاق الحركة في فرنسا!

والحق أن الغربيين، بقدر ما يخطئون، فإنهم يملكون ثقة عجيبة بالعقل وبقدرته على الشك.. بل الرفض إذا اقتضى الأمر بحثاً عن البديل..

أما هنا، ونحن نجيء دائماً متأخرين، فإن الموجة لا تزال على عنفوانها، وقد يقتضي الأمر عقوداً أخرى قبل أن تهتز الثقة وتتساقط القناعات.. فإن مثقفنا اليوم لا يجرؤ على رفض أو حتى الشك، فيما يعتبره منهجاً علمياً في التعامل مع النصّ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، رغم أن البنيوية في أساسها إنما هي - كما يقول جابر عصفور مترجم كتاب (عصر البنيوية) لاديث كيرزويل في مقدمته : "حركة فكرية تولدت نتيجة أوضاع ثقافية محددة، فظلت مزدهرة مع بقاء هذه الأوضاع وتراجعت بتراجعها".

ما من شك في أن البنيوية -في خلفياتها الفكرية- كانت بشكل من الأشكال محاولة لتجاوز أخطاء الماركسية والوجودية اللتين اعتبرت كل منهما في مراحل التألق والانتشار عقيدة نهائية. إلاّ أن البنيوية باعتبارها هي الأخرى صدوراً وضعياً تتضمن الخطأ والصواب، لم تنج من المصير نفسه، فان اندفاعها في التخلي عن النزعة الإنسانية، ونزوعها إلى التعالي الذي يلغي التاريخ ويعتقل الإنسان في أقبية النسق والبنية والنظام، قاد إلى التمرّد عليها حتى ليمكن اعتبار تظاهرات الطلبة الفرنسيين في أحداث مايس المشهورة عام 1968 م نوعاً من الثورة ضد البنيوية، بل ان البنيويين أنفسهم انفرط عقدهم ولم يبق مخلصاً للأفكار البنيوية الأولى سوى كلود ليفي شتراوس : الأب الروحي للحركة كلها، وهو يهودي كما يبدو من اسمه، الأمر الذي يذكرنا بالآباء الروحيين(!!) للعديد من الحركات الجديدة ذات الطابع الانقلابي كماركس وفرويد ودوركايم وغيرهم..

وبعد عام 1968 م تغيّرت كتابات البنيويين الفرنسيين، ولم يقتصر الأمر على التوسير وفوكو، من رواد الحركة، اللذين سعيا إلى نفي صلتهما ببنيوية ليفي شتراوس، وإنما تعدّاهما إلى رولان بارت الذي أعلن عام 1970 م أنه هجر الطريقة التي كان يتبعها عام 1966 م!! عندما كتب مدخله الشهير إلى "التحليل البنيوي للنصّ" بل إن مطالع السبعينيات شهدت أفول البنيوية في فرنسا نفسها بالقدر الذي شهدت حركة جديدة مضادة لم تكف عن التصاعد، يتزعمها المفكر الفرنسي جاك ديريدا الذي انطلق - ابتداء- من مبدأ تدمير البنيوية على نحو ما فهمها البنيويون في مبتدأ أمرهم!